وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

Π

ثلاثيات نبوية

الجزء الرابع

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

الثلاثية السادسة والأربعون

اليمن في ثلاث

عن مِخْمَرِ بْنِ مُعَاوِيَةَ τ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا شُؤْمَ، وَقَدْ يَكُونُ الْيُمْنُ فِي ثَلَاثَةٍ: فِي الْمَرْأَةِ، وَالْفَرَسِ، وَالدَّارِ» رواه الترمذي وابن ماجة.

أول فائدة يستفيدها المسلم من هذا الحديث تحريم التشاؤم.

قال تعالى عن اليهود الذين كفروا بنبينا صلى الله عليه وسلم: {وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا} (النساء: 78). وقال عن الكافرين من قوم موسى عليه السلام: { فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ} (الأعراف: 131).

قال صديق حسن خان رحمه الله: "وبالجملة: التطير من عمل أهل الجاهلية المشركين، وقد ذمهم الله تعالى به، ونهاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنه، وأخبر أنه شرك" (الدين الخاص: 144/2).

وعن أبي هريرة τ، قال: قال نبي الله صلى الله عليه وسلم: «لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ» رواه الشيخان.

والمراد من نفي العدوى نفي تأثيرها إلا أن يشاء الله، فالمريض لا يستقل بنقل مرضه، وإنما الأمر لله، وبهذا يزول الإشكال إذا علمنا بأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالفرار من المجذوم بقوله في صحيح البخاري: «فر من المجذوم فرارك من الأسد». فالأمراض لا تعدي بنفسها كما يعتقده أهل الجاهلية، وإنما قد يحدث ذلك ولكن بأمر الله.

والطيرة: التشاؤم، والطيرة: التشاؤم بمرئي، أو مسموع، أو معلوم. مثال المرئي: طائر البوم. ومثال المسموع: سماع صوت شخص معين. ومثال المعلوم التشاؤم ببعض الأزمنة. وقد كان أهل الجاهلية إذا أراد أحدهم حاجة زجر الطير، فإذا طار ذات اليمين أقدم، وإن طار ذات الشمال أحجم. وهذا سفه في العقل! وما أدري ماذا يصنعون إذا طار لأعلى، أو اختلف مسار طيرهم!!

والمراد من نفي الهامة: طير معروف، تزعم العرب أنه إذا قتل القتيل فإن هذه الهامة تأتي إلى أهله، وتنعِق على رؤوسهم حتى يأخذوا بثأره.

والمراد بنفي صفر الشهر المعروف؛ فقد كان العرب يتشاءمون به.

قال ابن القيم رحمه الله: "وهذا يحتمل أن يكون نفياً، وأن يكون نهياً، أي: لا تطيَّروا... والنفي في هذا أبلغ من النهي؛ لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره، والنهي إنما يدل على المنع منه" (مفتاح دار السعادة: 280/3).

ومن الأحاديث المحرمة للتشاؤم حديث عبد الله بن مسعود τ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الطيرة شرك»- ثلاثاً- ثم قال ابن مسعود: "وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل" رواه أبو داود، والترمذي.

قال البيهقي رحمه الله: "قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: يريد -والله تعالى أعلم- الطيرة شرك على ما كان أهل الجاهلية يعتقدون فيها، ثم قال: «وما منا إلا» يقال: هذا من قول عبد الله بن مسعود وليس من قول النبي صلى الله عليه وسلم، وقوله: وما منا إلا وقع في قلبه شيء عند ذلك على ما جرت به العادة وقضت به التجارب، لكنه لا يَقِرُّ فيه، بل يحسن اعتقاده أنْ لا مدبر سوى الله تعالى، فيسأل الله الخير، ويستعيذ به من الشر، ويمضي على وجهه متوكلا على الله عز وجل"(شعب الإيمان: 623/2).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وقال ابن حجر رحمه الله: "وإنما جعل ذلك شركاً لاعتقادهم أن ذلك يجلب نفعاً أو يدفع ضراً، فكأنهم أشركوه مع الله تعالى"(الفتح: 213/10). فهم قطعوا توكلهم على الله واعتقدوا أنَّ غيرَه يمكن أن يكون سببا في جلب نفع أو دفع ضر، وهذا وهم لا حقيقة له، وتعلق بغير الله، ولهذا كانت الطيرة من الشرك بالله والعياذ بالله.

ومن النصوص المرهبة عن الطيرة حديث عمران بن حصين τ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من تَطَيَّر أو تُطُيِّر له» رواه البزار. وهذا الحديث جوّد إسناده ثلاثة من العلماء: المنذري في الترغيب والترهيب (25/4)، والهيثمي في المجمع (117/5)، والألباني بشواهده في غاية المرام (289) –رحم الله الجميع–.

قال الألباني رحمه الله: "وهذا الحديث يعطي بمفهومه أن لا شؤم في شيء، لأن معناه: لو كان الشؤم ثابتا في شيء ما، لكان في هذه الثلاثة، لكنه ليس ثابتا في شيء أصلا. وعليه فما في بعض الروايات بلفظ «الشؤم في ثلاثة». أو «إنما الشؤم في ثلاثة» فهو اختصار، وتصرف من بعض الرواة. والله أعلم. وقد ثبت في مسند الإمام عن قتادة، عن أبي حسان، قال: دخل رجلان من بني عامر على عائشة، فأخبراها أن أبا هريرة يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الشؤم في ثلاثة ...». فغضبت، وقالت: والذي أنزل الفرقان على محمدٍ صلى الله عليه وسلم ما قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم قط، إنما قال: «كان أهل الجاهلية يتطيرون من ذلك». وفي رواية لأحمد: "ولكن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: كان أهل الجاهلية يقولون: الطيرة في المرأة والدار والدابة». ثم قرأت عائشة: {ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب} إلى آخر الآية..."... ولعل الخطأ الذي أنكرته السيدة عائشة هو من الراوي عن أبي هريرة، وليس أبا هريرة نفسه، فقد روى أحمد من طريق أبي معشر، عن محمد بن قيس قال: "سئل أبو هريرة: سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الطيرة في ثلاث: في المسكن، والفرس والمرأة» ؟ قال: كنت إذاً أقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل! ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أصدق الطيرة الفأل، والعين حق». وأبو مَعْشر فيه ضعف"اهـ.

ورواية الصحيحين: «إِنْ كَانَ الشُّؤْمُ فِي شَيْءٍ فَفِي الدَّارِ، وَالْمَرْأَةِ، وَالْفَرَسِ».

وفي رواية الطحاوي في شرح المعاني: (381/2): «الطيرة في المرأة، والدار، والفرس». قال الألباني: الحديث بهذا اللفظ شاذ، ففي رواية أخرى زيادة في أوله: «إن كان الشؤم في شيء...». وهي زيادة من ثقة فيجب قبولها، لاسيما وقد جاءت من طريق أخرى عن ابن عمر عند البخاري ولها شواهد كثيرة".

مسألة أخيرة هنا:

كيف يعالج الإنسان هذا الشعور في نفسه؟

الجواب: بأمور، منها:

صدق التوكل على الله. أن تعلم أن كل شيء بقدر الله. الدعاء بما ورد في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من ردته الطيرة من حاجة فقد أشرك». قالوا: يا رسول الله، ما كفارة تلك؟ قال: «أن يقول أحدهم: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك» رواه أحمد.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

الثلاثية السابعة والأربعون

ما يتبع الميت

عن أنسِ بنِ مَالِكٍ τ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ، وَمَالُهُ، وَعَمَلُهُ. فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ » رواه البخاري ومسلم.

قول النبي صلى الله عليه وسلم: «يتبع الميت»، أي: يصحبه إلى قبره.

ومن الفوائد اللغوية هنا أنه إذا حُذف المعدود جاز في العدد أن يذكر أو يؤنث.

فكيف يصحب المالُ الميت؟

المراد بذلك بعض ماله، فإنه قد يشيع بسيارته التي خلفها، وقد يكون مع ولده مال، ومالهم ماله قبل أن يموت، وهكذا. وليس المراد أن كلَّ ماله يكون معه. وفي السابق كان عبيد الميت يشيعونه، والرقيق مال.

وأما صحبة أهله له فواضحة.

وقد ورد في الحديث أن الميت يسمع قرع نعال أهله عند رجوعهم بعد دفنه.

وهذا الحديث يريد به النبي صلى الله عليه وسلم أن نحسن العمل..

والعمل الصالح له بركات عديدة في الدنيا، والبرزخ، والآخرة..

ففي الحياة الدنيا :

1/ يوضع القبول للصالحين في الأرض .

قال تعالى: { إِنَّ الَذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} (مريم: 96). فيُحبُّهم الناسُ بصلاحهم وقربهم من الله تعالى . وهذا المعنى جاء ذكره في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ τ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ» رواه الشيخان.

2/ نيل محبة الله تعالى:

وهذا ما جاء ذكره في الحديث السابق، وفي الحديث القدسي الذي أخرجه الإمام البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة τ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ».

وهذه هي الغاية التي شمر لها المشمرون، وسعى لنيلها المخلصون، فأي نعيم يعدل هذا النعيم، وأي شيء أعظم من أن يحبك الله؟

3/ تكفير السيئات :

ومن منّا لا يذنب؟ من منا لا يعصي الله؟ يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ» رواه مسلم. وليس المراد التحريض على الذنب، ولكنه حكاية واقع لا بد منه، فالذي نلام عليه تركنا للاستغفار ونحن نذنب.

وقال عليه الصلاة والسلام: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ» رواه أحمد والترمذي وابن ماجة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

لكنَّ الفرقَ بين الصالح وغيره أن الصالح إذا أذنب لم يتماد في غيه، ولم يسترسل في ذنبه، بل يقلع إذا ذُكِّر بالله، أما غيره بخلافه ، قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ* وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ} (التوبة: 201-202).

فمن بركة العمل الصالح أنّ أهله يكفر الله ذنوبهم ..

قال تعالى :{ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} (طه: 32). وقال: {وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} (المائدة: 9). وقال: {فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} (الحج: 50).

4/ خير الخلق من يعمل بالصالحات:

فلا اعتبار للمال والجاه وكثرة الولد عند الله إذا فسد من أنعم الله عليه بذلك: {وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى} (الليل: 11). وقال: {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ} (سبأ: 37). وقال: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ} (الحاقة: 25-29).

فكيف يتفاضل الناس عند ربهم ؟ بالعمل الصالح، وهذا من بركته ..

قال الله تعالى: { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} (الحجرات: 13). وقال: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ} (البينة: 7) .

5/ حفظ الله وولايته لأهل العمل الصالح:

قال تعالى :{وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ} (الأعراف: 196). وقال: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ}(يونس: 9). وقال: {اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ} (البقرة: 257). وقال سيد الصالحين صلى الله عليه وسلم: «احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ» رواه أحمد والترمذي.

وفي الحديث القدسي الذي مرّ معنا: «وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ».

6/ يحفظ الله الصالحين في ذريتهم.

وفي ذلك يقول ربنا: {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا} (الكهف: 82).

فحفظ الله الغلامين بسبب صلاح أبيهما .

7/ العيش الكريم :

وليس بالضرورة أن يكون محصوراً في المال الوفير، والعطاء الجزيل! فكم من إنسان تكدست خزائنه بالأموال وهو من أتعس العباد في الحال والمآل؟!

ولكنها السعادة، والقناعة، وتسهيل الأمور، وراحة النفس، وانشراح الصدر، وطمأنينة القلب، قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} (النحل: 97).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

مهما حاصره الفقر، لو قطن الجوع ببطنه لم يفارقه، لو لازمه العوز ملازمة ظلّه، فهو سعيد مادام من المؤمنين الصالحين، وعد الله، ومن أصدق من الله قيلاً وحديثاً؟

8/ الاطمئنان لحظة الاحتضار:

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ} (فصلت: 30). قال ابن كثير رحمه الله: " { تَتَنزلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ} يعني عند الموت قائلين: { أَلا تَخَافُوا} مما تقدمون عليه من أمر الآخرة، {وَلا تَحْزَنُوا} على ما خلفتموه من أمر الدنيا، من ولد وأهل، ومال أو دين، فإنا نخلفكم فيه، { وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ } فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير"[1].

وأما بركة العمل الصالح في البرزخ :

فصاحبه:

1/ يفرح بمصيره:

فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ τ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِذَا وُضِعَتْ الْجِنَازَةُ، فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ لِأَهْلِهَا: يَا وَيْلَهَا أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ وَلَوْ سَمِعَ الْإِنْسَانُ لَصَعِقَ» رواه البخاري.

2/ يسعد في قبره كما في حديث البراء الطويل.

وأما بركته في الآخرة:

1/ فأهله يخفف عليهم في الموقف:

فيوم القيامة يمر على الصالحين كما بين الظهر والعصر كما في الحديث الصحيح عن نبينا صلى الله عليه وسلم.

2/ وأعظم بركة ينالها الإنسان بعمله الصالح جنة الله ودار كرامته:

قال تعالى: {إِنَّ الذين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا} (الكهف: 107-108).

فيا أيها الإخوة: أما آن لنا أن نقبل على الله؟ أما حان وقت الجد في طاعة الله؟ كم ستبقى في هذه الحياة؟ لو ظللت ساجداً في التراب لله الوهاب عمرك كله لما عدل ذلك ساعة في جنة الله؟ فكيف تعرض عن الله والله لم يكلفك ذلك، إنما هو جد واجتهاد وعمل، مع مراعاة مصالح دنياك { وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ} (القصص: 77)، إنما هو فعل للخيرات بحسب وسعك، وبعد عن المنكرات ، هل هذا محال؟ اللهم لا.

إن المشركين يندمون على شركهم وخلو صحائفهم من الصالحات:

قال تعالى: { وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ} (فاطر: 36-37). وقال: {حتى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ

[1] / تفسير القرآن العظيم (480/4) بتصرف .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} (المؤمنون: 99-100). وقال: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ} (السجدة: 12). وقال: {يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ} (الأعراف: 53).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

الثلاثية الثامنة والأربعون

ثلاثة حق على الله عونهم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ τ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ» رواه الترمذي. والحديث حسن عند أهل العلم.

أول أمر تجدر الإشارة إليه هنا أن على المسلم أن يعتقد أن الله يوجب على نفسه ما شاء، ولا يوجب أحد على الله شيئا، بل الله يوجب على نفسه ما شاء؛ إذ أنه لا سلطان لشيء على الله.

كتب الله على نفسه أن يعين ثلاثة، وقبل أن أبدأ معهم وألج إلى شرحٍ يخصهم أقول: يؤخذ من قول النبي صلى الله عليه وسلم: «حق على الله عونهم» أن العون يستمد من الله. وهذا هو معنى ما نقوله في صلاتنا: {إياك نعبد وإياك نستعين}. فالعون والتوفيق والسداد والرشد والهداية إلى الصواب من الله وحده. ولذلك إذا علم المسلم هذا فينبغي عليه أن لا يتعلق قلبه إلا بربه. ولْيعلم أنّ الله أذن له في اتخاذ الأسباب، فيتخذها ويعلم أن العون من الله مسبب هذه الأسباب. والاستعانة عبادة كما أرشدت إليه آية سورة الفاتحة، فصرفها إلى غير الله شرك، فمن استعان بغير الله فقد أشرك إذا استعان به في أمر لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

أول المعانين: المجاهد في سبيل الله.

والمراد بالجهاد أمران:

- جهاد الأعداء بالسلاح.
- والجهاد بالعلم. فنشر الدين، وتعليم الناس، وإقراء القرآن، والذب على الإسلام بالرد على شبهات أعدائه ربما يفوق الجهاد بالسلاح؛ لأن الجهاد بالسلاح يقوى عليه كل أحد، أما هذا النوع من الجهاد فلا يقوى عليه إلا العلماء، أسأل الله أن يبارك في أعمارهم جميعاً. كل ذلك جهاد في سبيل الله. قال تعالى: {فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا} (الفرقان:52). وهذه الآية مكية، والمراد بها: الجهاد بالقرآن.

وقد نطقت الأحاديث بفضل الجهاد بنوعيه، ومما يدل لذلك حديث أَبِي هُرَيْرَةَ τ الذي قال فيه: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الْجِهَادَ؟ قَالَ: «لَا أَجِدُهُ، هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلَا تَفْتُرَ وَتَصُومَ وَلَا تُفْطِرَ»؟ قَالَ: وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؟ رواه الشيخان.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم –جواباً على من قال له: أي العمل أفضل؟–: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ». قال: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». قِيلَ :ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : «حَجٌّ مَبْرُورٌ» رواه الشيخان.

وعند البيهقي قوله صلى الله عليه وسلم: «لقيام الرجل في الصف ساعة أفضل من عبادة ستين سنة».

ولا يمكن أن يجتمع دخان جهنَّم وغبار في سبيل الله؛ لقول نبينا صلى الله عليه وسلم: «لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ» رواه الترمذي.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وفي جهاد الدعوة جاء حديث مسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ τ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا».

المعان الثاني: المكاتب يريد الأداء.

هذا عبد كاتب سيده على مال يريد أن يعتق نفسه به.

والكتابة قد أمر الله تعالى بها: {فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا} (النور:33). أي: صلاحاً في تقويم دينهم ودنياهم. وقال تعالى في حق المكاتبين: {وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ} (النور:33)، وهذا أمر للسيد ولغيره من المسلمين. وجعل الله للمكاتب حق في الزكاة بقوله: {وفي الرقاب}. وهذا من عون الله تعالى لهم.

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ما هو أعم من ذلك، فقال: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ» رواه البخاري.

والمعان الثالث: الناكح يريد العفاف

النكاح رتب الله عليه من الفوائد شيئاً كثيراً: عون الله، وامتثال أمر الله ورسوله، وتحصين الفرج، وغض البصر، وتحصيل النسل، والإنفاق على الزوجة والأولاد، فإن العبد إذا أنفق على أهله نفقة يحتسبها كانت له أجراً سواء كانت مأكولاً أو مشروباً أو ملبوساً أو مستعملاً في الحوائج كلها. وهو معين لأداء العبادات، وفيه تعاون الزوجين على مصالح دينهما ودنياهما، وبه تُحصل الذرية الصالحة.. إلى غيرها من واوات يعسُر حصرُها..

ومما دل عليه هذا الحديث مسألتان:

الأولى: أنَّ الزواج من سبل تحقيق العفة.

وهذا أمر معلوم، والأدلة على ذلك كثيرة. قال تعالى: {وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ} (النور:33). وفي صحيح مسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ».

قال النووي رحمه الله: "قال العلماء: معناه الإشارة إلى الهوى والدعاء إلى الفتنة بها؛ لما جعله الله تعالى في نفوس الرجال من الميل إلى النساء، والالتذاذ بنظرهن وما يتعلق بهن، فهي شبيهة بالشيطان في دعائه إلى الشر بوسوسته وتزيينه له. ويستنبط من هذا: أنه ينبغي لها أن لا تخرج بين الرجال إلا لضرورة، وأنه ينبغي للرجل الغض عن ثيابها، والإعراض عنها مطلقاً"[1].

والمسألة الثانية: أنّ من ثمرات العفة نيل معونة الله.

الثلاثية التاسعة والأربعون

[1] / شرح النووي (178/9).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

ثلاثٌ منقِّيات مُطَهِّرات

عن عمرو بن العاص τ أنه قال: قُلْتُ للنبي صلى الله عليه وسلم: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلْأُبَايِعْكَ. فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي قَالَ: «مَا لَكَ يَا عَمْرُو»؟ قَالَ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ. قَالَ: «تَشْتَرِطُ بِمَاذَا»؟ قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي. فقال صلى الله عليه وسلم: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلِهَا، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ» رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب كَوْنِ الْإِسْلَامِ يَهْدِمُ مَا قَبْلَهُ، وَكَذَا الْهِجْرَةِ، وَالْحَجِّ.

ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ثلاث كفارات ماحيات منقيات..

الكفارة الأولى: الإسلام.

ثبت في السنن الكبرى للنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قوماً كانوا قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، وانتهكوا، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: يا محمد، إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو أخبرتنا هل لما عملناه كفارة؟ فأنزل الله عز وجل: {وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا والذين} (الفرقان: 69-71).

فالمشرك إذا أسلم غفر الله له جميع ذنوبه. وهل يؤاخذ المشرك بغير الشرك؟ الجواب نعم، الكافر يؤاخذ بثلاثة أشياء:

الكفر، وترك الواجبات، وارتكاب المحرمات. قال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ} (المدثر: 38-46).

فالتكذيب بيوم الدين كفر، وترك الصلاة والإطعام والإحسان إلى خلق الله إهمال لواجب، وخوضهم في الباطل فعل للمحرمات، قال قتادة في قوله: {وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ}: "كلما غوي غاو غوينا معه"[1]. لكن لو قام الكافر بالطاعات فإن الله لا يقبلها إلا بعد الإسلام؛ فإن من شروط العمل الصالح: الإيمان. قال تعالى: {وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ} (التوبة: 54).

وإذا أسلم فإن الله يثبت له أجر ما عمله من قربات، ودليل ذلك أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ τ قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أَرَأَيْتَ أُمُورًا كُنْتُ أَتَحَنَّثُ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ هَلْ لِي فِيهَا مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَسْلَمْتَ عَلَى مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ» رواه مسلم. وَالتَّحَنُّثُ التَّعَبُّدُ. فهذا الحديث دل على أن أعمال البر إذا عملها الإنسان حال كفره ثم أسلم فإن الله يثيبه عليها. وهذا من فضل الله العظيم، وما أعظمَ فضلَ الله على عباده، الكافر إذا أسلم يمحو الله سيئاته، ويثبّت حسناته، والحمد لله على فضله وإحسانه.

الكفارة الثانية: الحج.

وقد مضى الحديث عنه في ثلاثية سابقة عند الكلام عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَفْدُ اللَّهِ ثَلَاثَةٌ: الْغَازِي، وَالْحَاجُّ، وَالْمُعْتَمِرُ».

الهادم الثالث للذنوب: الهجرة.

---

[1] / تفسير ابن كثير (273/8).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

والمراد بها هنا: ترك دار الكفر إلى دار الإسلام.

وقد أمر الله بها بقوله: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ} (العنكبوت: 56).

وعن الحارث الأشعري τ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: السَّمْعُ، وَالطَّاعَةُ، وَالْجِهَادُ، وَالْهِجْرَةُ، وَالْجَمَاعَةُ» رواه أحمد والترمذي.

فالهجرة يكفر الله بها الذنوب والخطايا كما دل عليه هذا الحديث، والأدلة على ذلك كثيرة؛ قال تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}(البقرة:218). وقال: {فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ ثَوَاباً مِّن عِندِ اللهِ واللهُ عِندَهُ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ} (آل عمران:195). وقال: {وَٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} (الأنفال:74). وقال: {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَاهَدُواْ وَصَبَرُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} (النحل:110).

ومن الأدلة حديث جَابِرٍ τ: أَنَّ الطُّفَيْلَ بْنَ عَمْرٍو الدَّوْسِيَّ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ لَكَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ وَمَنْعَةٍ؟ حِصْنٌ كَانَ لِدَوْسٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ فَأَبَى ذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِلَّذِي ذَخَرَ اللَّهُ لِلْأَنْصَارِ. فَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ هَاجَرَ إِلَيْهِ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَهَاجَرَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَاجْتَوَوْا[1] الْمَدِينَةَ، فَمَرِضَ، فَجَزِعَ، فَأَخَذَ مَشَاقِصَ[2] لَهُ فَقَطَعَ بِهَا بَرَاجِمَهُ[3]، فَشَخَبَتْ يَدَاهُ[4] حَتَّى مَاتَ. فَرَآهُ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فِي مَنَامِهِ، فَرَآهُ وَهَيْئَتُهُ حَسَنَةٌ، وَرَآهُ مُغَطِّيًا يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: مَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ: غَفَرَ لِي؛ بِهِجْرَتِي إِلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكَ مُغَطِّيًا يَدَيْكَ؟! قَالَ: قِيلَ لِي: لَنْ نُصْلِحَ مِنْكَ مَا أَفْسَدْتَ. فَقَصَّهَا الطُّفَيْلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «اللَّهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ» رواه مسلم.

وهنا وقفة مهمة: إذا كان هذا في حق من هاجر من الصحابة، ولم يحفظ عنه أنه نصر دين الله بشيء، ولم يعلم أنه جاهد، لمجرد الهجرة غفر الله له قتل نفسه. فما ظنك بالمهاجرين، الذي نصر الله بهم الدين، وأعز بهم النبي الكريم؟ وثبت عن سبرة بن الفاكه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الشيطان قعد لابن آدم بطريق الإسلام، فقال: تسلم وتذر دينك ودين آبائك! فعصاه فأسلم، فغفر له. فقعد له بطريق الهجرة، فقال له: تهاجر وتذر دارك وأرضك وسماءك! فعصاه فهاجر. فقعد بطريق الجهاد، فقال: تجاهد فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال! فعصاه فجاهد. فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة، وإن وقصته دابة كان حقا على الله أن يدخله الجنة» رواه النسائي، وابن حبان في صحيحه، والبيهقي.

الثلاثية الخمسون

ثلاثٌ يُمْسَكُ عنهُنَّ

عَنْ ثَوْبَانَ τ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَتِ النُّجُومُ فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا» رواه الطبراني في الكبير، وهو صحيح لغيره.

المراد بالإمساك عن هذه الثلاثة: الإمساك عن الخوض فيها بالباطل.

---

1 / كرهوا المقام بها لضجر وسقم.

2 / المشقص: نصل سهم طويلٌ عريض.

3 / مفاصل الأصابع، وواحدتها: بُرْجُمَة.

4 / اندفع الدم منهما بشدة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

الأمر الأول الذي يمسك عنه: الصحابة.

والمراد الإمساك عن شيئين:

الإمساك عن الإساءة إليهم. والإمساك عن ذكر ما جرى بينهم من الخصومة.

كيف عرفنا ذلك؟ لأنه إما أن يكون المراد الإمساك عن ذكر الفضائل أو أن يكون المراد الإمساك عن المساوئ، والفضائل ملأ الله بها كتابه، وإذا احتمل الأمر شيئين فسقط أحدهما تعيّن الآخر.

أما الأمر الأول –وهو الإمساك عن سبهم– فلأن سبَّهم من كبائر الذنوب، وربما أفضى إلى الكفر والعياذ بالله.

وقد دلت آي الكتاب على أن الصحابة لا يقع فيهم إلا كافر أو منافق..

دليل الأول قول الله: { مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ } (الفتح 29).

"قال الإمام مالك رحمه الله: من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابته هذه الآية"، ثم قال: "لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تأويله، فمن نقص واحداً منهم أو طعن عليه في روايته فقد رد على الله رب العالمين وأبطل شرائع المسلمين"[1].

وأما الدليل على أنه منافق فقول الله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ } (البقرة 13).

وفي هذه الآية ثلاث فوائد:

الأولى: أنّ سب الصحابة من سمات النفاق، فالمنافقون سفهوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، «ومن تشبه بقوم فهو منهم».

الثانية : أنّهم مؤمنون؛ لأن الله تولى الدفاع عنهم، قال تعالى: { إن الله يدافع عن الذين آمنوا }.

الثالثة: أنّ من ألصق بهم عيباً كان أحقَّ به، قال تعالى في الآية : { أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء }.

ومن الأدلة على وجوب الإمساك عن سبهم: قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ» رواه البخاري ومسلم.

ومنها أنّ النبي صلى الله عليه وسلم لعن من سب أصحابه فقال: «من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» رواه الطبراني، وصححه الألباني. وعلينا أن نعلم أنّ سبَّهم قدح في الله، وفي رسوله صلى الله عليه وسلم، وفي القرآن.

قدح في الله؛ لأنه اختارهم لصحبة نبيه ولحفظ دينه. وقدح في القرآن؛ لأنهم نقلته. وقدح في النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم أصحابه من جهة، إذ كيف يَصْحَبُ مطعوناً فيهم، ومن جهة أخرى فإن النبي صلى الله عليه وسلم هو من زكاهم ورباهم.

ومن قدح في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان شراً من النصارى، فالنصارى خير منهم؛ لأنهم يقولون: خير الناس الحواريون، وأولئك يقولون: شر الناس الصحابة.

---

[1] / الجامع لأحكام القرآن (296/16)

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

والأمر الثاني: دل الحديث على وجوب الإمساك عما شجر بينهم، وعن غير ذلك من الذنوب..

قال ابن تيمية رحمه الله في العقيدة الواسطية: " ثُمَّ الْقَدْرُ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ، نَزْرٌ، مَغْمُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ؛ مِنْ الْإِيمَانِ بِاَللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهِجْرَةِ وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ. وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمِ وَبَصِيرَةٍ وَمَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ الْفَضَائِلِ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ، لَا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُمْ هُمْ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى".

دع ما جرى بين الصحابة في الوغى بسيوفهم يوم التقى الجمعان
فقتيلهم منهم وقاتلهم لهم وكلاهما في الحشر مرحومان
والله يوم الحشر ينزع كل ما تحوي صدورهم من الأضغان

الأمر الثاني الذي يمسك عنه: النجوم.

والمراد أن نمسك عن الأمور التي لم يأت بها دليل.

قال قتادة رحمه الله: "خَلَقَ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ: جَعَلَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا. فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا بِغَيْرِ ذَلِكَ أَخْطَأَ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ"[1].

ما عدا هذه الأمور علينا أن نمسك عنه.

الأمر الثالث: القدر.

والنبي صلى الله عليه وسلم بين أن الإيمان بالقدر من أركان الإيمان، فما هو المراد بالإمساك عنه؟

المراد الإمساك عن الخوض فيه بدون دليل، والجدال فيه. وقد سأل أحدهم عليا τ فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر؟ قال: طريق مظلم لا تسلكه. فأعاد السؤال، فقال: بحر عميق لا تلجه. فأعاد فقال: سرُّ الله قد خفي عنك فلا تفتشه. وثبت عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالنَّاسُ يَتَكَلَّمُونَ فِي الْقَدَرِ، فَكَأَنَّمَا تَفَقَّأَ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ مِنْ الْغَضَبِ، فَقَالَ لَهُمْ: «مَا لَكُمْ تَضْرِبُونَ كِتَابَ اللَّهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، بِهَذَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ». فلا نتكلم فيه بالباطل، لكن نثبت أنه من أركان الإيمان، ونبين مراتبه، ونرد على الجبرية والقدرية، ونرد على ما يعرض للناس من إشكالات في أمره، أما الكلام بالباطل، وتكلف ما لا نعلمه، والمراء فيه هذا هو الممنوع.

[1] / تفسير ابن كثير (207/6).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

الثلاثية الحادية والخمسون

ثلاثٌ تكلموا في المهد

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ τ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ. وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ؛ وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلًا عَابِدًا، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً، فَكَانَ فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ. فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي؟ فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ. فَلَمَّا كَانَ مِنْ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ. فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي؟ فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ. فَلَمَّا كَانَ مِنْ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ. فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ. فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُومِسَاتِ. فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ، وَكَانَتْ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لَأَفْتِنَنَّهُ لَكُمْ؟ قَالَ فَتَعَرَّضَتْ لَهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَقَعَ عَلَيْهَا، فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ. فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ. فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ فَوَلَدَتْ مِنْكَ. فَقَالَ: أَيْنَ الصَّبِيُّ؟ فَجَاءُوا بِهِ، فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ. فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ وَقَالَ: يَا غُلَامُ مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ الرَّاعِي. فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ، وَقَالُوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ؟ قَالَ: لَا أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ، فَفَعَلُوا. وَبَيْنَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ، فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَارِهَةٍ وَشَارَةٍ حَسَنَةٍ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذَا. فَتَرَكَ الثَّدْيَ وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهِ فَجَعَلَ يَرْتَضِعُ – فجعلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَحْكِي ارْتِضَاعَهُ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ فِي فَمِهِ فَجَعَلَ يَمُصُّهَا، قَالَ:- وَمَرُّوا بِجَارِيَةٍ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ سَرَقْتِ. وَهِيَ تَقُولُ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهَا. فَتَرَكَ الرَّضَاعَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا. فَهُنَاكَ تَرَاجَعَا الْحَدِيثَ فَقَالَتْ: حَلْقَى! مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهُ، فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ. وَمَرُّوا بِهَذِهِ الْأَمَةِ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ سَرَقْتِ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهَا، فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا؟! قَالَ: إِنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ كَانَ جَبَّارًا، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ. وَإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لَهَا: زَنَيْتِ وَلَمْ تَزْنِ، وَسَرَقْتِ وَلَمْ تَسْرِقْ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا» رواه مسلم.

ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة تكلموا في المهد..

أولهم: عيسى عليه السلام

وعيسى عليه السلام من أولي العزم من الرسل، وأولو العزم هم –على المشهور– الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} (الشورى: 13).

وقد أخبرنا الله بما قاله في مهده، قال تعالى عن أمه: {فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ *مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} (مريم: 27-35).

وقال تعالى عنه: {وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلا وَمِنَ الصَّالِحِينَ} (آل عمران: 46).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

هذا كلامه في مهده، أما كلامه في كهولته ففي آخر الزمان عندما ينزل، ويكسر الصليب، ويضع الجزية فلا يقبلها؛ لأنه لن يقبل إلا الإسلام، والمسلم لا يدفع جزيةً، وهذا النزول ثبت بكتاب الله وبسنة رسول الله. فكيف يكون مؤمناً من أنكر كتاب الله وسنةَ رسوله؟ ألا بعداً لكل كذاب أثيم.

وقال تعالى: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ} (المائدة: 110).

وأول كلمة قاله: {إني عبد الله}، وقد تضمنت الرد على النصارى؛ فهو عبد، وليس رباً، وليس ابناً للرب- تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيراً-.

الثاني: صاحب جريج الراهب

وقد دلت قصة جريج على جملة فوائد، أذكرها باختصار؛ لأنه قد سبق الكلام عنها في موضع آخر[1].

منها: أنّ العفة من سمات الإيمان .. كيف ذلك؟ لأن الله قال: {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا}، وقد دافع ها هنا عن أهل العفة ، فعُلم أنّ العفة من الإيمان.

ومنها أن اتهام الشخص ليس يقدح في طهره وعفته، فقد اتُّهم جريجٌ كما في هذه القصة، واتهمت أمنا عائشة رضي الله عنها، فقد أشاع المنافقون حديث الإفك، فإن رأس المنافقين لما رآها مع صفوان بن المعطل السلمي قال: والله ما نجا منها ولا نجت منه، عليه لعائن الله إلى يوم القيامة. واتهم يوسف عليه السلام، رمته امرأة العزيز بذلك فقد قالت لبعلها: {ما جزاء من أراد بأهلك سوء} !! واتهمت مريم عليها السلام، قال الله عن قومها: { قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا } .

ولكن الله تولى الدفاع عنهم.

ومنها: أنه ينبغي لكل والد أن يحذر من الدعاء على الأولاد.

ومن الأحكام المهمة التي اشتملت عليها هذه القصة أن الأب أو الأم إذا نادى على ابنه وكان يصلى نافلة فالواجب عليه أن يلبي نداء والديه . هذا هو الصحيح، وهو وجه في المذهب الشافعي. وقول المالكية. ولذا قال الإمام مسلم رحمه الله عند هذا الحديث: باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها.

ومن دروسها أنّ الحسد داء عضال، فقوم هذا الرجل لما لم يتمكنوا من أن يكونوا مثله حسدوه، وحاولوا الإضرار به، وقد قيل: "ودت الزانية أن لو زنى الناس جميعاً".

منها أنَّ التبين والتريث والتثبت أمر دلت هذه القصة على أهميته، ولو قاموا بذلك لما ضُرب جريج ظلماً.

وأنّ مما يعين على العبادة أن تتخذ لها مكاناً بعيداً عن الناس ؛ لئلا ينشغل المرء بهم.

وفيها إثبات الكرامة وأنها كانت في الأمم السابقة.

وفيها الاستعانة بالصلاة.

---

[1] / راجع: قصص رواها النبي صلى الله عليه وسلم. وهي منشورة على هذا الرابط: http://saaid.net/Doat/mehran/e.htm

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وفيها أنّ التمسح والتبرك بالصالحين فعل من لا يقتدى بفعله، فالذين أخذوا في ضربه هم من فعل ذلك ، فالتبرك بالصالحين ذريعة إلى الشرك وبدعة في الإسلام ، وليس من أحد يتبرك بشيء من آثاره إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفيها حسن خلقه إذ لم يرض منهم أن يشيدوها من الذهب.

وفيها : سوء عاقبة الغضب؛ فبالغضب دعت أم جريج عليه ، ولذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه.

وفيها أنّ الزّنا قبيح محرم في جميع الشرائع السابقة.

قال ابن عثيمين رحمه الله: "واستدل بعض العلماء من هذا الحديث على أن ولد الزنى يلحق الزاني؛ لأن جريجا قال: من أبوك؟ قال: أبي فلان الراعي. وقد قصها النبي صلى الله عليه وسلم علينا للعبرة، فإذا لم ينازع الزاني في الولد واستلحق الولد فإنه يلحقه. وإلى هذا ذهب طائفة يسيرة من أهل العلم. وأكثر العلماء على أن ولد الزنى لا يلحق الزاني؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «الولد للفراش وللعاهر الحجر». ولكن الذين قالوا بلحوقه قالوا: هذا إذا كان له منازِع كصاحب الفراش، فإن الولد لصاحب الفراش، وأما إذا لم يكن له منازع واستلحقه فإنه يلحقه؛ لأنه ولده قدرا، فإن هذا الولد لا شك أنه خلق من ماء الزاني، فهو ولده قدرا، ولم يكن له أب شرعي ينازعه، وعلى هذا فيلحق به. قالوا: وهذا أولى من ضياع نسب هذا الولد لأنه إذا لم يكن له أب ضاع نسبه وصار ينسب إلى أمه" وهذا المذهب الذي حكاه ابن عثيمين رحمه الله قال به شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع من الفتاوى.

الثالث: قال: «وَبَيْنَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ، فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَارِهَةٍ، وَشَارَةٍ حَسَنَةٍ...»

الدابة الفارهة ليست سيارة كما هو معلوم، وإنما فرس جيد نشط قوي، من أحسن ما يكون في ذلك الزمان. وأما الشارة الحسنة: الهيئة واللباس.

فكلام هذا الصبي الصغير آية من آيات الله تعالى، ولا شيء يُعجز الله، وها نحن نقرأ في القرآن الكريم: {يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (النور: 24).

ويستفاد من قصة هذا الغلام الثالث أمور:

منها: دعاء الأم لولدها بالخير.

ومنها: أنّ الغنى والمكانة في الدنيا ليست دليلا على محبة الله للعبد، فهذا الرجل كان في نعمة عظيمة ولم يتمن هذا الصبي حاله؛ لأنه كان جباراً. بل الغالب أن الغنى والجاه يصد صاحبه عن سبيل الله، قال نبينا صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْمُكْثِرِينَ هُمْ الْمُقِلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ خَيْرًا فَنَفَحَ فِيهِ يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَوَرَاءَهُ وَعَمِلَ فِيهِ خَيْرًا» رواه البخاري ومسلم. والمعنى: أنّ المكثرين من الدنيا هم المقلون من الأعمال الصالحة يوم القيامة، وذلك لأن الغالب على من كثر ماله في الدنيا أن يستغني ويتكبر ويعرض عن طاعة الله، لأن الدنيا تلهيه فيكون مكثرا في الدنيا مقلا في الآخرة. وقد قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا لِمَنْ أَحَبَّ» رواه أحمد.

ومنها: أن مرجع الضمير قد يكون مذكوراً، وقد يكون معلوماً، فقد جاء في الحديث: « وَمَرُّوا بِجَارِيَةٍ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا»، يريد: أهلها. وهذا كما في قول الله تعالى: {حتى توارتْ بالحجاب} (ص: 32). يعني الشمس، ولم يسبق لها ذكر.

وأهم فائدة من هذه القصة: اللجوء إلى (حسبي الله ونعم الوكيل) عند الظلم.. فهذه الجارية اعتصمت بها لما ظُلمت، وأخذت تقول: حسبي الله ونعم الوكيل. ومعنى هذه الجملة: يكفيني الله، وهو نعم من أفوض إليه أمري.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وهذه الكلمة ما ذكرت في شدة وكرب إلا وهونه الله على صاحبه، وجعل الله له من أمره يسراً. والدليل على أنها تقال عند الشدائد سنن الترمذي، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ τ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدْ الْتَقَمَ الْقَرْنَ، وَاسْتَمَعَ الْإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ»، فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُمْ: «قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا».

قال الملا علي القاري رحمه الله: "قولهم: وما تأمرنا؟ أي: أن نقول الآن، أو حينئذ، أو مطلقا عند الشدائد"[1].

وأما حديث: «إذا وقعتم في الأمر العظيم فقولوا: حسبنا الله و نعم الوكيل» فلا يثبت[2].

وكما تقال عند وقوع الظلم فإنها تقال كذلك إذا خيف من وقوعه.

فعن أم المؤمنين عائشة وزينب بنت جحش رضي الله عنهما، أنهما تفاخرتا فقالت زينب: زَوجني الله وزوجَكُن أهاليكن. وقالت عائشة: نزلت براءتي من السماء في القرآن. فَسَلَّمَت لها زينب، ثم قالت: كيف قلتِ حين ركبت راحلة صَفْوان بن المعطل؟ فقالت: قلت: حسبي الله ونعم الوكيل، فقالت زينب: قلت كلمة المؤمنين" رواه الطبري في التفسير (119/19).

وهنا سؤال في هذه القصة؟ كيف دعا الصبي أن يجعله الله مثل الجاري المظلومة؟

الجواب: أنه أراد حالها لا بلاءها، أراد سيرتها وعفتها وطهرها واستقامتها وحسن لجوئها على ربها واعتصامَها به، ولم يرد أن ينسب إلى باطل ظلماً.

---

1 / مرقاة المفاتيح (185/10).

2 / انظر حديث رقم (729) في ضعيف الجامع .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

الثلاثية الثانية والخمسون

ثلاثٌ لا لعب فيها

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ τ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ، وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ: النِّكَاحُ، وَالطَّلَاقُ، وَالرَّجْعَةُ» رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجة. والحديث حسن.

وفي لفظ: «ثَلَاثٌ لَا يَجُوزُ فِيهِنَّ اللَّعِبُ: الطَّلَاقُ، وَالنِّكَاحُ، وَالْعِتْقُ». وَفِي إِسْنَادِهِ ابْنُ لَهِيعَةَ.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ τ قَالَ: "أَرْبَعٌ جَائِزَاتٌ إِذَا تُكُلِّمَ بِهِنَّ: الطَّلَاقُ، وَالْعَتَاقُ، وَالنِّكَاحُ، وَالنَّذْرُ».

وَعَنْ عَلِيٍّ τ: "ثَلَاثٌ لَا لَعِبَ فِيهِنَّ الطَّلَاقُ وَالْعَتَاقُ وَالنِّكَاحُ".

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: "ثَلَاثٌ اللَّعِبُ فِيهِنَّ كَالْجِدِّ: الطَّلَاقُ وَالنِّكَاحُ وَالْعِتْقُ".

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: "النِّكَاحُ جِدُّهُ وَلَعِبُهُ سَوَاءٌ". وهذه الآثار رَوَاهُنَّ أَبُو حَفْصٍ الْعُكْبَرِيُّ.

والله تعالى يقول في كتابه: {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (البقرة:231).

وقد كان الرجل يُطلق في الجاهلية ويَنكح ويُعتق ويقول: أنا طلقت وأنا لاعب، فأنزل الله هذه الآية السابقة، والمعنى: ولا تتخذوا آيات الله وأحكامه لعبًا ولهوًا؛ فإنها جد كلُّها، فمن هَزَل فيها لزمته. ففيه إبطال أمر الجاهلية، وتعزيز الأحكام الشرعية.

والهزل: أن يراد بالشيء غير ما وضع له بغير مناسبة بينهما، والجد ما يراد به ما وضع له أو ما صلح له اللفظ مجازاً.

فلو أن شخصا رزق ببنت، ولقي صاحبه العانس[1]، وأراد أن يمزح معه فقال: زوجتك ابنتي، فلو قال صاحبه قبلت فقد تم العقد ووقع.

ولو أن شخصا تزوج امرأة وكان يعملان في حقل التمثيل، وفي إحدى المشاهد قال لها أثناء التمثيل: أنت طالق، فإنها تطلق عليه. وكذلك لو قال رجل لامرأته –هازلاً–: طلقتك. فالطلاق يقع بالإجماع، وحكى هذا الإجماعَ غيرُ واحد من أهل العلم.

وكذلك الحالُ في الرَّجعة[2]. فلو قال شخص: أرجعت زوجتي وكان قد طلقها ومازالت في العدة فقد رجعت. فإن الرجعة تحصل بالوقاع مع النية، وباللفظ؛ أرجعتك ونحوِ ذلك.

قال المناوي رحمه الله في فيض القدير (396/3) "فإذا قال: راجعتك عادت إليه واستحل منها ما يستحل من زوجته، وبهذا أخذ الأئمة الثلاثة: الشافعي، وأبو حنيفة، وأحمد. ويعضده {إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين}، فجعل الهزو في الدين جهلا، ولن يلحق الجهل إلا بأهله".

ولذلك على المسلم أن يحذر من اتخاذ هذه الأحكام عبثاً ولعباً. وخص الثلاثة بالذكر لخطورتها وتعلقها بالفروج، وإلا فإن الصحيح أنّ كل تصرف ينعقد بالهزل. فالشرع صان قداسة الزوجية من العبث بهذا الحكم.

الثلاثية الثالثة والخمسون

1 / يقال رجل عانس، وامرأة عانس.

2 / يجوز الرجعة بفتح الراء وكسرها، وهي عود المطلّق إلى طليقته.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

ثلاث عقوبات في هذه الأمة

عن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ τ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ». فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَتَى ذَاكَ؟ قَالَ: «إِذَا ظَهَرَتْ الْقَيْنَاتُ وَالْمَعَازِفُ، وَشُرِبَتْ الْخُمُورُ» رواه الترمذي.

ثلاث عقوبات أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بوقوعها في هذه الأمة..

العقوبة الأولى: الخسف

فما معنى الخسف؟ الخسف هو: "الذهاب في الأرض" (تفسير القرطبي318/13)، فهو ذهاب المكان ومن عليه وغيبوبته في بطن الأرض.

وهو عذاب الله لقارون لما بغى وأفسد، قال تعالى: {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ ٱلأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ} (القصص:81).

وفي الصحيحين عن ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما، أنّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنْ الْخُيَلاء خُسِفَ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

يتجلجل: يغوص في أعماقها وباطنها من غير أن يصل إلى آخرها.

وهذا الرجل الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل: قارون، وقيل: غيره. والمهم أن الحديث دلَّ على أن من أسباب الخسف الكفر والكبر والعياذ بالله.

وعذب الله به بعضَ الأمم السابقة، قال تعالى: {وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلأَرْضَ} (العنكبوت:40).

ودل الحديث الذي ذكرته أولا على أن الخسف سيقع في هذه الأمة..

وقد حذر الله العصاة من هذا العذاب، قال تعالى: {أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ} (النحل:45).

وقال –عن الكافرين–: {إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مّنَ ٱلسَّمَاء إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً لّكُلّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ} [سبأ:9]. كسفا من العذاب: قطعا من العذاب كما صُنع بقوم شعيب عليه السلام.

وقد كان النبي يستعيذ من الخسف، وعلمنا ذلك، ففي حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي» رواه أحمد، وأبو داود وقال: قال وَكِيعٌ: يَعْنِي الْخَسْفَ.

ومن صور الخسف الزلازل التي تميد بالأرض فتخرب المدن بعد عمارها، وقد ذكر صلى الله عليه وسلم أن الزلازل تكثر بين يدي الساعة، ففي صحيح البخاري قولُ نبينا صلى الله عليه وسلم: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ».

قال ابن حجر رحمه الله: "وقد وقع في كثير من البلاد الشمالية والشرقية والغربية كثير من الزلازل، ولكن الذي يظهر أن المراد بكثرتها شمولها ودوامها" (فتح الباري 87/13).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

العقوبة الثانية: المسخ

وهو تغيير الصورة. تتحول صورة الآدمي إلى صورة حيوان أو غيره.

وهذه العقوبة حلت ببني إسرائيل الذين اعتدوا في السبت..

قال تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ} (البقرة:65).

وقال تعالى: {وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ} (المائدة:60).

وعن ابن حبان: «لا تقوم الساعة حتى يكون في أمتي خسف ومسخ».

وعند الترمذي: «يكون في هذه الأمة أو في أمتي خسف أو مسخ أو قذف في أهل القدر».

قال ابن تيمية: "المسخ واقع في هذه الأمة ولا بد، وهو واقع في طائفتين: علماء السوء الكاذبين على الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، والمجاهرين المنهمكين في شرب الخمر والمحارم"

وقال: "إنما يكون الخسف والمسخ إذا استحلوا هذه المحرمات بتأويل فاسد، فإنهم إن يستحلوها مع اعتقاد أن الشارع حرمها كفروا ولم يكونوا من أمته، ولو كانوا معترفين بحرمتها لما عوقبوا بالمسخ كسائر من يفعل هذه المعاصي، مع اعترافهم بأنها معصية".

العقوبة الثالثة: القذف

القذف: الرمي بالحجارة من جهة السماء.

وهو العذاب الذي عذب الله به قوم لوط لما كفروا وارتكبوا الموبقات فقال: {إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حاصباً إِلاَّ آلَ لُوطٍ نجيناهم بِسَحَرٍ} [القمر:34].

وقال: {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مّن سِجّيلٍ مَّنْضُودٍ * مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظالمين بِبَعِيدٍ} (هود:82، 83).

قال مجاهد: "ما الحجارة من ظالمي قومك يا محمد ببعيد. وقال قتادة وعكرمة: "يعني ظالمي هذه الأمة، والله ما أجار الله منها ظالماً بعد". (انظر تفسير القرطبي 83/9).

وهو العذاب الذي عذب الله به أصحاب الفيل، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بأصحاب ٱلْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مّن سِجّيلٍ} (الفيل:1-4).

وقد حذر الله قريشا من هذا العذاب، قال تعالى: {أَمْ أَمِنتُمْ مّن فِي ٱلسَّمَاء أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصبا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ} (الملك:17).

وقال: {أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا} [الإسراء:68].

فمتى تنزل بالأمة هذه العقوبات؟

يجيبك نبيك صلى الله عليه وسلم: «إِذَا ظَهَرَتْ الْقَيْنَاتُ وَالْمَعَازِفُ، وَشُرِبَتْ الْخُمُورُ».

والقينات جمع قينة، والمراد بها الجارية المغنية، وليس الإشكال في كونها جارية، وإنما في كون الجاريةِ مغنيةً.

وكذلك المعازف، وهي: آلات اللهو، وهذا مما انتشر انتشارا عظيماً في هذه الأيام، ولا ينبغي لأحد أن يشك في حرمة الاستماع لهذه الآلات، وفي صحيح البخاري قول نبينا صلى الله عليه وسلم: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ». والبخاري علق هذا الحديث بصيغة الجزم، فالحديث صحيح عنده، وقد وصله الإسماعيلي في مستخرجه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

قال ابن حجر رحمه الله: "لا التفات إلى أبي محمد بن حزم الظاهري الحافظ في رد ما أخرجه البخاري من حديث أبي عامر وأبي مالك الأشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الحرير والخمر والمعازف» الحديث.. من جهة أن البخاري أورده قائلا "قال هشام بن عمار" وساقه بإسناده، فزعم ابن حزم أنه منقطع فيما بين البخاري وهشام وجعله جوابا عن الاحتجاج به على تحريم المعازف، وأخطأ في ذلك من وجوه، والحديث صحيح معروف الاتصال بشرط الصحيح، والبخاري قد يفعل مثل ذلك لكونه قد ذكر ذلك الحديث في موضع آخر من كتابه مسندا متصلا، وقد يفعل ذلك لغير ذلك من الأسباب التي لا يصحبها خلل الانقطاع".

فدل هذا الحديث على أن هذه الأمة سينالها شيء من هذه العقوبات التي أخبر بها نبي الله صلى الله عليه وسلم..

فالواجب الحذر الشديد من معصية الله، فقد دلت النصوص على أن المعصية تفضي إلى ذلك، كالشرك، والبغي، وعقوق الوالدين، والتكبر، والاستماع إلى الأغاني والمعازف، وعدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعمل قوم لوط، والغلو في الدين، والكفر بنعمة الله، والزنا، والربا، وشرب الخمر، كل هذه المعاصي ثبت في ديننا أنها سبب في نزول العذاب من عند الله.

أسأل الله أن يشملنا بعفوه، وأن يعاملنا بما هو أهله، وأن يغفر لنا، فوالله لو عاملنا بما نحن أهله لكان الهلاك أقرب إلينا من أنفسنا ..

{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ}.

{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ}.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

الثلاثية الرابعة والخمسون

ثلاث برئ منهنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن أبي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى قَالَ: وَجِعَ أَبُو مُوسَى وَجَعًا فَغُشِيَ عَلَيْهِ وَرَأْسُهُ فِي حَجْرِ امْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِهِ، فَصَاحَتْ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِهِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا شَيْئًا، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: أَنَا بَرِيءٌ مِمَّا بَرِئَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرِئَ مِنْ الصَّالِقَةِ، وَالْحَالِقَةِ، وَالشَّاقَّةِ " رواه البخاري ومسلم.

إن كانت من وقفة مع هذا الجزء من هذا الأثر –وَرَأْسُهُ فِي حَجْرِ امْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِهِ– فمع دلالته على عظم العلاقة بين الزوجين، ففي أحرج اللحظات التي تمر بالمرء يتخذ الرجل من زوجه ملاذاً ومستراحاً، ولا ننسى حديث الصحيحين الذي قالت فيه عائشة رضي الله عنها: "إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ؛ دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ، فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ. فَتَنَاوَلْتُهُ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ. فَلَيَّنْتُهُ، فَأَمَرَّهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ» ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: «فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى»، حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ.

برئ النبي صلى الله عليه وسلم من ثلاثٍ:

والسؤال: ليس منا من فعل كذا، وأنا بريء من كذا، هل يلزم من هذه البراءة الخروجَ من الإسلام والكفر؟

الجواب لا.

قال العلماء: هذا معناه ليس من سنتنا وطريقتنا، وفائدة إيراده بهذا اللفظ المبالغة في الردع عن الوقوع في مثل ذلك.

والحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح لما تحدث عن حديث: «ليس منا من لطم الخدود...» قال: "ويظهر لي أن هذا النفي يفسره التبري المذكور في حديث أبي موسى حيث قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بريء من الصالقة والحالقة والشاقة. وأصل البراءة الانفصال من الشيء، وكأنه توعده بأن لا يدخله في شفاعته مثلاً. قال: وحكي عن سفيان أنه كان يكره الخوض في تأويله ويقول ينبغي أن يمسك عن ذلك ليكون أوقع في النفوس وأبلغ في الزجر"(بتصرف من الفتح: 164/3).

وهذا هو الذي ينبغي أن يسير عليه الدعاة، أن يتركوا تأويل هذه الألفاظ ليكون أبلغ في الزجر، فنطلق حيث أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، مثال ذلك في الزجر عن ترك الصلاة نقول ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر» بدون تفصيل في نوع هذا الكفر، هذا عند الموعظة وفي الخطب، أما الحديث لطلاب العلم، أو الفتوى فيلزم التفصيل. فالنبي صلى الله عليه وسلم برئ من ثلاث:

الأولى: الصالقة

يجوز الصالقة، والسالقة، وهي التي ترفع صوتها عند المصيبة. وقيل: التي تضرب وجهها.

فالبكاء بصوت يعذب الله بسببه، وأما البكاء بدون صوت فمما لا حرج فيه؛ فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يبكي إذا فقد عزيزاً من أقربائه ..

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دخل النبي صلى الله عليه وسلم على ابنه إبراهيم وهو يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ τ :وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ :«يَا ابْنَ عَوْفٍ، إِنَّهَا رَحْمَةٌ»، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ» رواه البخاري ومسلم.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ τ قَالَ: شَهِدْنَا بِنْتًا لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم –وهي أم كلثوم– وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم جَالِسٌ عَلَى الْقَبْرِ، قَالَ : فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَدْمَعَانِ" رواه البخاري.

وعن أُسَامَةَ بْن زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَرْسَلَتْ ابْنَةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِلَيْهِ إِنَّ ابْنًا لِي قُبِضَ فَأْتِنَا، فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلَامَ وَيَقُولُ:«إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ»، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِ لَيَأْتِيَنَّهَا، فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَمَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَأُبَيُّ ابْنُ كَعْبٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَرِجَالٌ، فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَتَقَعْقَعُ –تضطرب؛ تصعد وتنزل–، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذَا؟ فَقَالَ :«هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ» البخاري ومسلم.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ τ قَالَ: زَارَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَبْرَ أُمِّهِ، فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ : «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ» رواه مسلم.

الثانية: الحالقة

والحالقة التي تحلق شعرها عند المصيبة.

الشاقة

والشاقة التي تشق ثوبها عند المصيبة

وفي هذا الحديث فوائد:

منها أن الولاء والبراء لا ينبغي أن يخضع لأهوائنا، فقد قال هذا الصحابي: "أنا بريء ممن برئ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم". فالذي يُتبرأ منه من تبرأ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم، كالمشرك من اليهود والنصارى، والذي يوالى ويحب من والاه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وإنما نبهت على هذه لأن كثيرا من الناس يختل عندهم مفهوم الولاء والبراء، فيكون الولاء لمن كان معهم في حزبهم أو جماعتهم أو جمعيتهم، وهذه مخالفة لهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

منها: تحريم النياحة، والأحاديث التي تدل لذلك كثيرة، لعلي أقف معها في الحلقة القادمة عند ثلاثية أخرى فيها ذكر النياحة.

ومنها أن المرأة سابقا كانت تبقي على شعرها ولا تقصه، فإنها إذا كانت تحلقه للمصيبة دل هذا على أن الأصل أنها لا تقربه.

وفي هذا الوقت لما انفتح الناس على صنائع الكافرين صارت المرأة تقصر شعر رأسها حتى يكون كرأس الرجل، ولا يخفى وعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن تشبهت بالرجال.

ومنها: إنكار المنكر والاهتمام لذلك.

فهذا الصحابي بمجرد ما أفاق أنكر ما لم يتمكن من إنكاره قبل أن يُغشى عليه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وفيه الأدب مع الوالدين والستر عليهما، فهذه المرأة التي صاحت هي زوج أبي موسى أم عبد الله بنت أبي دومة كما عند النسائي، والدة أبي بردة ابنِه، ولما حدث ابنه بالحديث لم يقل صاحت أمي، وإنما قال: امرأة من أهله.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

الثلاثية الخامسة والخمسون

ثلاثة هي الكفر

عن أبي هريرة τ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة من الكفر بالله: شق الجيب، والنياحة، والطعن في النسب» رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم.

رواية ابن حبان له: «ثلاثة هي الكفر...».

مضى معنا ثلاثة ثلاثيات تتحدث عن النياحة..

الأولى: عن أنس بن مالك τ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ثلاثٌ لن تزال في أمتي: التفاخر في الأحساب، والنياحة، والأنواء» رواه أبو يعلى والضياء المقدِسي.

والثانية: الحديث السابق: "برئ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الصَّالِقَةِ، وَالْحَالِقَةِ، وَالشَّاقَّةِ" رواه البخاري ومسلم.

والثالثة في هذا الحديث.

قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة من الكفر بالله» معنى ذلك: المراد أن ذلك من أعمال الكفار لا من خصال الأبرار. أو المراد كفر النعمة. أو سمي ذلك كفرا تغليظا وزجرا.

ومن السلف من كره تفسيرها لأن إطلاقها أبلغ في الزجر. وهذا هو الحق إن شاء الله، إلا عند الفتوى أو لطلاب العلم.

ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث خصال كفرية:

الخصلة الأولى: شق الجيب

الجيب: ما يفتح من الثوب ليدخل فيه الرأس، والمراد بشقه إكمال فتحه إلى آخره، وهو من علامات التسخط.

الخصلة الثانية: النياحة.

والنياحة: البكاء بجزع وعويل.

وقد كثرت النصوص التي تحذر من النياحة..

فقد ثبت في السنة أن النياحة كفر، وليست من طريقة المسلمين، وقد تبرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم منها..

فدل هذا الحديث على أنها كفر، وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وسلم: «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت» رواه مسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ شَقَّ الْجُيُوبَ، وَضَرَبَ الْخُدُودَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ».

ورسول الله صلى الله عليه وسلم بريء من كل نائحة، كما في الحديث السابق "برئ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الصَّالِقَةِ، وَالْحَالِقَةِ، وَالشَّاقَّةِ" رواه البخاري ومسلم.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع على ترك النياحة. قالت أم عطية رضي الله عنها: "أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنْ لا نَنُوحَ، فَمَا وَفَتْ مِنَّا امْرَأَةٌ غَيْرَ خَمْسِ نِسْوَةٍ: أُمِّ سُلَيْمٍ، وَأُمِّ الْعَلَاءِ، وَابْنَةِ أَبِي سَبْرَةَ امْرَأَةِ مُعَاذٍ، وَامْرَأَتَيْنِ" رواه البخاري.

وهذا يدل على فشو هذه المعصية في أوساط النساء، وأسأل الله أن يصلحهن.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وعَنْ امْرَأَةٍ مِنَ الْمُبَايِعَاتِ قَالَتْ: كَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَعْرُوفِ الَّذِي أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ لَا نَعْصِيَهُ فِيهِ: أَنْ لَا نَخْمُشَ وَجْهًا، وَلَا نَدْعُوَ وَيْلًا، وَلَا نَشُقَّ جَيْبًا، وَأَنْ لَا نَنْشُرَ شَعَرًا" رواه أبو داود.

وهذه الفعال كلها دليل الجزع والسخط وعدم الصبر على أقدار الله.

والمراد من الدعاء بالويل: قولهن عند المصيبة: واويلاه. والخمش فهو الخدش. ونشر الشعر: تفريقه.

والنياحة من أمور الجاهلية.. قال صلى الله عليه وسلم: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ». وأبغض الأشياء إلى الله اتباع سنن الجاهلية، ففي صحيح البخاري، قال صلى الله عليه وسلم: «أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلَاثَةٌ: مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ، وَمُبْتَغٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ».

والنائحة متوعدة بالعذاب الأليم..

فقد قال نبي الله صلى الله عليه وسلم: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ» رواه مسلم.

ومعنى ذلك أن جلدها يكون أجرب، ثم يوضع عليها سربال –وهو الثوب– من قطران، والقطران: مادة سريعة وشديدة الاشتعال، فيكون جلدها أجرب ويغطى بمادة شديدة الاشتعال، فما أكبرَ هذه الخسارة!

والواجب على الرجال أن يمنعوا النساء من النياحة، ففي الحديث عن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قالت: لَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: غَرِيبٌ وَفِي أَرْضٍ غُرْبَةٍ! لَأَبْكِيَنَّهُ بُكَاءً يُتَحَدَّثُ عَنْهُ. فَكُنْتُ قَدْ تَهَيَّأْتُ لِلْبُكَاءِ عَلَيْهِ، إِذْ أَقْبَلَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الصَّعِيدِ تُرِيدُ أَنْ تُسْعِدَنِي، فَاسْتَقْبَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: «أَتُرِيدِينَ أَنْ تُدْخِلِي الشَّيْطَانَ بَيْتًا أَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنْهُ» –مَرَّتَيْنِ–قالت: فَكَفَفْتُ عَنْ الْبُكَاءِ فَلَمْ أَبْكِ.

وهذا يدل على أن مجاملة النساء بالنياحة أمر قديم، وهو من أقبح ما يكون، تجد المرأة في أحسن حال، وصوت ضحكها يملأ الطرقات، فإذا دخلت بيت العزاء رفعت بالعويل صوتها، وأغرقت الأرض بدموعها، بنوع من التمثيل لا مثيل له، وكأننا أمام فيلم استعان فيه مخرجه بأبرع الممثلين. وهذا لا يليق بمؤمنة تؤمن بالله واليوم الآخر.

وأختم بتذكير بأمور ثلاثة تعين الأخت المسلمة على ترك النياحة والتخلص منها..

الأول: أن تعلم أن قدر الله نافذ، ومن مات لا ترده نياحة، وأجل الله لا يؤخر، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فعليه السخط. فمن الناس من تجري المصيبة عليهم وتكون سببا في رضاء الله عنهم بصبرهم، ومنهم من يجزع فتكون سببا لغضب الله عليهم، فتجمع المرأة بنياحتها على فقيدها بين خسارتين: فقد الميت، وفقد الدين.

ثانيا: التأمل في عاقبة الصابرين..

والصبركاسمه مر مذاقته لكن عواقبه أحلى من العسل

ثالثاً: العلم بأن الميت يُعذب بهذه النياحة..

فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: "أغمي على عبد الله بن رواحة، فجعلت أخته تبكي واجبلاه، واكذا، واكذا، – تعدد عليه– فقال حين أفاق: ما قلت شيئا إلا قيل لي: أنت كذلك"؟ رواه البخاري

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وهذا هو الندب: تعديد شمائل الميت ولو لم يصحبه بكاء. وقال في النهاية: النهاية في غريب الأثر (33/5): "النَّدْب: أن تَذكر النائحةُ الميّت بأحسنِ أوصافِه وأفعاله".

ومعنى واجبلاه: أن هذا الميت مثل الجبل ملجأ لي وقد فقدته.

ثبت في سنن الترمذي عن أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِي τ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ بَاكِيهِ فَيَقُولُ: وَا جَبَلَاهْ، وَا سَيِّدَاهْ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، إِلَّا وُكِّلَ بِهِ مَلَكَانِ يَلْهَزَانِهِ: أَهَكَذَا كُنْتَ»؟

يلهزانه: أي يَدْفعانه ويَضْربانه. واللَّهْز: الضَّرب بِجُمْع الكَفَّ في الصَّدر.

الخصلة الثالثة: الطعن في النسب

أي: الوقوع فيها بنحو ذم وعيب، بأن يقدح في نسب أحد من الناس، فيقول: ليس هو من ذرية فلان، وذلك يحرم؛ لأنه هجوم على الغيب، ودخول فيما لا يعني، والأنساب لا تعرف إلا من أهلها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

الثلاثية السادسة والخمسون

ثلاث دعوات لسعدٍ τ

زار نبي الله صلى الله عليه وسلم سعد بن عبادة τ فاستأذن عليه وقال: « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ». فقال سعد: وعليك السلام ورحمة الله، ولم يُسمِع النبيَّ صلى الله عليه وسلم، حتى سلَّم ثلاثاً وردَّ عليه سعدٌ ثلاثاً ولم يسمعه، فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فاتَّبعه سعد، فقال: يا رسول الله –بأبي أنت وأمي– ما سلمت تسليمة إلا هي بأذني، ولقد رددت عليك ولم أُسمِعْك؛ أحببتُ أن أستكثر من سلامك ومن البركة. ثم أدخله البيت فقرَّب له زبيباً فأكل نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ قال: « أَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ» رواه أحمد وأبو داود.

في رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله لسعد بن معاذ لما أكل عنده، ولا تعارض بينهما لتعدد القصة.

اشتمل هذا الحديث على ثلاث دعوات لسعد τ.. وهذا بناء على أن هذه الجمل دعائية وليست خبرية، وهذا هو الحق؛ لأمور:

أولاً: لأن جعل ذلك من الدعاء يفتح باب التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: ولأنه يفضي إلى شيوع الدعاء بين المؤمنين.

ثالثاً: لحديث المسند، عن أنس τ: "كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا أفطر عند قوم قال: «أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وتنزلت عليكم الملائكة». فهذا هو الموافق لهدي النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان يدعو لمن يأكل عنده كما سيأتي معنا.

الأولى: أفطر عندكم الصائمون

وهذا يدل على فضل تفطير الصائمين، ووجه ذلك أن يقال: لولا أنّ في تفطيرهم أجراً عظيماً لما دعا النبي صلى الله عليه وسلم لسعد أن يحقق الله له ذلك بأن يقصد الصائمون بيته فيأكلوا عنده.

وأوضح دلالة من ذلك حديث نبينا صلى الله عليه وسلم: «مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شيئاً» رواه أحمد والترمذي وابن ماجه.

وتفطير الصائمين إطعامٌ للطعام وزيادة، وقد بين الله في كتابه أنه أعدَّ لمن يقوم بذلك عينا من ماء ممزوج بالكافور يجريها هؤلاء حيث شاءوا: {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} (الإنسان:6-8).

الثانية: وأكل طعامكم الأبرار

الأبرار جمع بَرَ، وهم الذين برُّوا الله تبارك وتعالى بطاعتهم إياه وخدمتهم له، حتى أرضَوه فرضي عنهم كما قال الطبري في تفسيره (482/7).

وهذه تعمُّ التي قبلها وتزيدُ عليها. وإنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك لسعد τ لأمرين:

الأول: لأن إطعام الطعام سبب لدخول الجنة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

ففي سنن الترمذي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا، تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا، وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا». فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ :«لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى لِلَّهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ».

وعند الإمام أحمد في مسنده أن أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، علِّمني عملاً يدخلني الجنة. قال: «أعتق النَّسَمة وفكَّ الرقبة، فإن لم تطق ذلك فأطعم الجائع واسق الظمآن».

والنسمة بفتحتين: الروح، أي: أعتق ذا نسمة. وفي رواية عند الطبراني في الأوسط وغيرِه أن الأعرابي قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أليستا واحدة؟ -يعني: عتق النسمة وفك الرقبة؟- فقال صلى الله عليه وسلم: «لا، عتق النسمة أن تنفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعطي في ثمنها». يعني : تعين في ذلك.

الثاني: أن البر يتقوى بهذا الطعام على طاعة الله، فيصيبك شيء مما ألمَّ به من أجرٍ وحسنات من غير أن ينقص ما عنده.

وقد ثبت عن أبي سعيد الخدري τ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قالَ: «لا تُصَاحِبْ إِلاّ مُؤْمِناً، وَلاَ يَأْكُلُ طَعَامَكَ إِلاّ تَقِيّ» رواه أبو داود والترمذي.

ولا تعارض بين هذا الحديث وبين حديث الصحيحين: «فِي كُلِّ ذِي كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»، كيف ذلك؟

لأن المراد بهذا طعام الحاجة، فأطعم كل من وما يحتاج إلى الطعام، ولو بهيمةً، فإن الإنسان يؤجر عليها، أما قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لاَ يَأْكُلُ طَعَامَكَ إِلاّ تَقِيّ» فالمراد طعام الدعوة، ففيه الأمر بملازمة الأتقياء ودوام مخالطتهم، وترك الفجار؛ لأن المطاعمة توقع الألفة والمودة في القلوب، فالمعنى: لا تؤالفْ من ليس من أهل التقوى والورع ولا تجالسْه ولا تطاعمْه. هذا ما قاله السيوطي رحمه الله في مرقاة الصعود.

وهل دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بقوله: «أكل طعامكم الأبرار» يشمل شرب الماء؟

الجواب: نعم؛ فإن سقيا الماء إطعامُ طعامٍ، قال تعالى: {فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ} (البقرة: 249).

ولهذا قال المناوي عند شرح هذا الحديث في فيض القدير (69/2):"«وأكل طعامكم»، أي: وشرب شرابكم الأبرار، صائمين ومفطرين".

الدعوة الثالثة: وصلَّت عليكم الملائكة

صلاة الملائكة: دعاؤهم واستغفارهم.

قال البخاري في صحيحه (1802/4): "بَاب قَوْلِهِ: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}، قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: صَلَاةُ اللَّهِ ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ الدُّعَاءُ".

والملائكة تدعو للمؤمنين وتستغفر لهم، قال تعالى: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (غافر: 7-9).

وهذه القصة دليل على فوائد، منها:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

- أن زيارة الإخوان سنة نبوية.
- تواضع النبي صلى الله عليه وسلم.
- فضل السعدين، سعد بن عبادة، وسعد بن معاذ؛ لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم لهما.
- أن الاستئذان يكون بالسلام.
- تكرار السلام لمن لم يسمعه.
- رد السلام وعدم إسماعه لمصلحة.
- ذكاء سعد بن عبادة τ.
- الاعتذار للإخوان ببيان عذرك لهم لئلا توغر صدورهم.
- بركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم. وهذه تتفرع منها فائدة: أنه ينبغي الحرص على الأعمال التي دعا النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابها، كالحلق بعد الحج والعمرة فقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم بالمغفرة ثلاثا للمحلقين، ولعلَّ هذا يكون كتابا أسميه: أعمال دعا النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابها.
- سرعة إكرام الضيف، لأنه قرب زبيبا بمجرد دخول النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: {وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ} (هود: 69).
- الدعاء لمن أصبت من طعامه. والسنة أن تدعو بهذه الدعاء تارة، وبغيره تارة، فمن السنة أن تقول: «اللَّهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي، وَأَسْقِ مَنْ أَسْقَانِي» رواه مسلم، أو تقول: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِيمَا رَزَقْتَهُمْ، وَاغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ» رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

الثلاثية السابعة والخمسون

ثلاث لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ كَانَ لَهُ فَضْلُ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ فَمَنَعَهُ مِنْ ابْنِ السَّبِيلِ. وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا سَخِطَ. وَرَجُلٌ أَقَامَ سِلْعَتَهُ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَقَدْ أَعْطَيْتُ بِهَا كَذَا وَكَذَا، فَصَدَّقَهُ رَجُلٌ»، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا} رواه البخاري ومسلم.

ولفظ مسلم: «ثَلَاثٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالْفَلَاةِ يَمْنَعُهُ مِنِ ابْنِ السَّبِيلِ. وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ فَحَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ لَأَخَذَهَا بِكَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ. وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَى، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ».

مر معنا في مثل هذه الأحاديث أن المراد ثلاثة أصناف، وليس المراد ثلاثة رجال.

هذه ثلاثيتان في حديث واحد؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر ثلاث عقوبات، وذكر أن أصحابها ثلاثةٌ.

قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا ينظر الله إليهم» هذا الوعيد ورد في القرآن في موضع واحد:

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلا أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (آل عمران: 77).

والمعنى: لا ينظر إليهم برحمة.

والكافرون في القرآن متوعدون بعقوبتين:

الأولى: عدم نظر الله إليهم. يعني برحمة كما سبق.

والثانية: عدم نظرهم إلى الله. قال تعالى: {كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} (سورة المطففين: 15).

وهي دليل على أن المؤمنين يرون ربهم؛ لأنه كما قال الإمام الشافعي رحمه الله: "فإذا حُجب عنه هؤلاء في حال السخط رآه المؤمنون في حال الرضى".

وقوله صلى الله عليه وسلم: «ولا يزكيهم»: لا يثني عليهم، ولا يمدحهم، وقيل: لا يطهرهم من دنس الذنوب.

«ولهم عذاب أليم»: موجع. قال الواحدي رحمه الله: هو الذي يخلص إلى القلوب وجعه. والعذاب: كل ما يُعْيِي الإنسان ويشق عليه. قال النووي رحمه الله: "وَأَصْل الْعَذَاب فِي كَلَام الْعَرَب مِنْ الْعَذْب وَهُوَ الْمَنْع. يُقَال: عَذَبْته عَذْبًا إِذَا مَنَعْته، وَعَذُبَ عُذُوبًا أَيْ اِمْتَنَعَ، وَسُمِّيَ الْمَاء عَذْبًا لِأَنَّهُ يَمْنَع الْعَطَش، فَسُمِّيَ الْعَذَاب عَذَابًا لِأَنَّهُ يَمْنَع الْمُعَاقَب مِنْ مُعَاوَدَة مِثْل جُرْمه، وَيَمْنَع غَيْره مِنْ مِثْل فِعْله".

فمن هؤلاء المعذبون؟

الأول: رَجُلٌ كَانَ لَهُ فَضْلُ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ فَمَنَعَهُ مِنْ ابْنِ السَّبِيلِ

أي له ماء زائد عن حاجته ، كان له بئر، ومنع منها ابن السبيل المحتاج إليها.

قال ابن بطال رحمه الله: "فيه دلالة على أن صاحب البئر أولى من ابن السبيل عند الحاجة، فإذا أخذ حاجته لم يجز له منع ابن السبيل".

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

فكل إنسان عنده ماء من مزرعة أو بئر أو غير ذلك، في أرض فلاة خالية من السكان، يمر الناس من عنده ليشربوا فيمنعهم والعياذ بالله متوعد بهذا العذاب.

وهذا الذي يمنع فضل الماء مغبون خاسر، فبالإضافة إلى ما ينتظره من هذه العقوبات فقد حرم نفسه من أجر جزيل يوصله إلى جنة الله..

فقد ثبت عن أبي هريرة τ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ليس صدقة أعظم أجراً من ماء» رواه البيهقي.

وعن أنس أن سعداً رضي الله عنهما، أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إن أمي توفيت ولم توص، أفينفعها أن أتصدق عنها؟ قال: «نعم، وعليك بالماء» أخرجه الطبراني في الأوسط.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ τ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ إِذْ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا، فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، وَخَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنْ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنْ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ، فَمَلَأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، حَتَّى رَقِيَ، فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا؟ فَقَالَ: «فِي كُلِّ ذِي كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ» رواه البخاري ومسلم.

الثاني: رَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا سَخِطَ

قال ابن عثيمين رحمه الله: "وذلك أن بيعة الإمام واجبة، يجب على كل مسلم أن يكون له إمام سواء كان إماما عاما كما كان في عهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من الخلفاء، أو إماما في منطقته كما هو الحال الآن. ومنذ أزمنة بعيدة من زمن الأئمة الأربعة ومن بعدهم والمسلمون متفرقون، كل جهة لها إمام، وكل إمام مسموع له ومطاع بإجماع المسلمين. لم يقل أحد من المسلمين: إنه لا تجب الطاعة إلا إذا كان الخليفة واحدا لجميع بلاد الإسلام. ولا يمكن أن يقول أحد بذلك؛ لأنه لو قيل بهذا ما بقي للمسلمين الآن إمام ولا أمير، ولمات الناس كلهم ميتة جاهلية؛ لأن الإنسان إذا مات وليس له إمام فإنه يموت ميتة جاهلية، يحشر مع أهل الجهل والعياذ بالله الذين كانوا قبل الرسالات. فالإمام في مكان وفي كل منطقة بحسبها. فهذا الرجل بايع الإمام لكنه بايعه للدنيا لا للدين، ولا لطاعة رب العالمين، إن أعطاه من المال وفى، وإن منعه لم يف، فيكون هذا الرجل والعياذ بالله متبعا لهواه غير متبع لهداه، ولا طاعة مولاه، بل هو بنى بيعته على الهوى. قد يقول قائل: نحن لم نبايع الإمام؟ فيقال: هذه شبهة شيطانية باطلة، هل الصحابة رضي الله عنهم حين بايعوا أبا بكر هل كل واحد منهم بايع حتى العجوز في بيتها واليافع في سوقه؟ أبدا المبايعة لأهل الحل والعقد، ومتى بايعوا ثبتت الولاية على كل أهل هذه البلاد شاء أم أبى. ولا أظن أحدا من المسلمين بل ولا من العقلاء يقول: إنه لابد أن يبايع كل إنسان ولو في جحر بيته، ولو عجوزا أو شيخا كبيرا أو صبيا صغيرا! ما قال أحد بهذا. حتى الذين يدعون الديمقراطية في البلاد الغربية وغيرها لا يفعلون هذا وهم كاذبون حتى انتخاباتهم كلها مبنية على التزوير والكذب ولا يبالون أبدا إلا بأهوائهم فقط. في الدين الإسلامي متى اتفق أهل الحل والعقد على مبايعة الإمام فهو الإمام شاء الناس أم أبوا، فالأمر كله لأهل الحل والعقد. ولو جعل الأمر لعامة الناس حتى للصغار والكبار والعجائز والشيوخ وحتى من ليس له رأي ويحتاج أن يولى عليه ما بقي للناس إمام؛ لأنهم لابد أن يختلفوا"[1]. والانتخاب الآن نظام ألجأت إليه الضرورة، لكن على الناس أن يعلموا أنها ليست من الإسلام في شيء. أن يُرشَّح الشيوعيُّ ويُرشِّح النصراني هذا ليس من دين الله في شيء. لكن للضرورة حكمها.

---

[1] / شرح رياض الصالحين.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

الثالث: وَرَجُلٌ أَقَامَ سِلْعَتَهُ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَقَدْ أَعْطَيْتُ بِهَا كَذَا وَكَذَا، فَصَدَّقَهُ رَجُلٌ

يعني رجل حلف بالله كاذبا ليبيع سلعته.

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «بعد العصر» لا أظن أن أحدا يفهم من ذلك أنه لو باعها بالحلف الكاذب الظهر أو الفجر لما نالته هذه العقوبة. إذا ما فائدة ذكر العصر؟ لأن غالب بيعهم كان في العصر.

وهذا يدل أن وقت العصر تعظم فيه المعاصي؛ لارتفاع الملائكة بأعمال الناس إلى الله، فيعظم أن يرتفعوا عن العبد بالمعصية إلى الله تعالى كما قال ابن بطال.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

الثلاثية الثامنة والخمسون

ثلاث لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم (2)

عَنْ أَبِي ذَرٍّ τ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ». قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ مِرَارًا. قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ».

قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» مضى بيان معناها.

وفي هذا الحديث زيادة: «لا يكلمهم الله». أي: لا يكلمهم بما يسرهم.

وإنما كان المعنى: لا يكلمهم بما يسرهم لما ثبت من أحاديثَ دالةٍ على أنّ الله يكلم العصاة والكافرين بما يسوؤهم. ففي الصحيحين عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ τ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ».

فالنفي هنا ليس نفياً لمطلق الكلام، ولكنه للكلام المطلق الذي هو كلام الرضا.

ففيه: أنّ الكلام من صفات الله تعالى. ولو قلنا إنه لا يتكلم لكان أولياء الله بمنزل أعدائه الذين لا يكلمهم.

والكلام باعتبار أصله صفة ذاتية، وباعتبار آحاده صفة فعلية، والصفة الذاتية هي التي لا تنفك عن ذات الله، فالله موصوف بها منذ الأزل. وأما الفعلية: فهي التي تتعلق بمشيئة الله. فالله متكلم بما شاء وكيف شاء، لا نقول: كلامه عبارة عما في نفسه أو حكاية. بل يتكلم حقيقة. قال تعالى: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} (النساء: 164). والمصدر المؤكِّد ينفي المجاز. وقال سبحانه: {يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي} (الأعراف: 144). وقال سبحانه: {مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ} (البقرة: 253). وقال سبحانه: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} (الشورى: 51). وقال سبحانه: {فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى} (طه: 11 – 12). وقال سبحانه: {إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي} (طه: 14). وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله. فهذه الصفات نؤمن بها ونجريها على دستورنا {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير}.

ومن عجبٍ أن ينكر أناس هذه الصفة ويعرفون الكلام بالمعنى القائم بالنفس، ويقولون قال الأخطل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

والجواب عن زعمهم من وجوه:

1. أن ما في النفس لا يكون كلاما، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ» رواه الشيخان. فالكلام أمر مغاير لما يدور بنفسك ويقوم بها من المعاني.
2. أجمع العلماء أن من تكلم بأجنبي في صلاته بطلت، ولم يقل أحد ببطلان صلاة من حدثته نفسه بشيء. وهذا يدل على أنّ الكلام غير المعنى القائم بالنفس.
3. لا تصح نسبة هذا البيت للأخطل.
4. المحفوظ: إن البيان لفي الفؤاد.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

5. قبح لمن نبذ الكتاب وراءه وإذا استدل يقول قال الأخطل
6. كيف نستقي عقيدتنا من نصراني لا يعرف ماذا يعتقد في ربه، ويقول باتحاد الناسوت في اللاهوت؟
7. الأخطل من المولّدين الذين جاؤوا بعد اختلاط اللسان، واسمه الأخطل، والخطل: فساد الكلام كما قال ابن تيمية في كتاب الإيمان.

وأما قول الله: {وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ} (المجادلة: 8). فالمراد: يقولون ذلك فيما بينهم استهزاء، فهو قول لسانيٌّ. فالمراد قول السر وليس المراد المعنى القائم بالنفس. ولهذا في الحديث: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم» فجعل الجهر مقابل السر.

والكلام صفة كمال، وكل كمال فالله أولى به، ولهذا أنكر الله على قوم موسى لما عبدوا العجل بقوله: {وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ} (الأعراف: 148).

وهؤلاء قالوا ما قالوا؛ فرارا من التشبيه. ونقول لهم: ألا يمكن أن يقوم المعنى قائما بنفوس المخلوقين؟ فإن قالوا: نعم ولكنه قيام غير قيام؟ قلنا: أثبتوا الكلام وقولوا: كلام غير كلام. فالقول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر، لكن أن تثبت بعضا من الصفات وتنفي الأخرى هذا تحكم.

وإنما استطردت في هذا لقبح التأويل، وصرف نصوص الكتاب والسنة بلا دليل، والله الهادي إلى سواء السبيل.

لما قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال له الصحابة رضي الله عنهم: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ فَقَدْ خَابُوا وَخَسِرُوا؟

وفيه حرص الصحابة على الخير، فالصحابة كانوا أحرص شيء على الخير.

قولهم: خابوا وخسروا، الخيبة: عدم نيل البغية والمراد. وخسروا: هلكوا. من هم؟

الأول: المسبل إزاره

يراد به: الذي يجعل ثوبه أسفل كعبيه؛ كبرا واختيالاً. فهذا الحديث يفسره الحديث الآخر: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرْ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه البخاري ومسلم.

والكبر والعياذ بالله سبب لعذاب الله في الدنيا والآخرة.

أما في الدنيا فلحديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بينما رجل يجُرُّ إزاره من الخيلاء خُسِف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة» رواه البخاري ومسلم.

وأما في الآخرة فلهذا الحديث، ولحديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه، عن جده، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذرِّ في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، فيساقُون إلى سجن في جهنم يسمى بُولَس، تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار؛ طينةَ الخبال» رواه الترمذي.

الثاني: المنان

المن له ثلاثة معانٍ:

الأول: المن في الحرب، وهو أن يترك الأسير الكافر من غير عوض.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

الثاني: المن الفعلي وهو الإثقال بالنعمة، وذلك على الحقيقة لا يكون إلا لله تعالى، ومن ذلك قوله تعالى: {لقد من الله على المؤمنين} (آل عمران: 164). وقوله سبحانه: {كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم} (النساء: 94).

الثالث: أن يكون ذلك بالقول؛ بأن يذكر الإنسان ما يظن أنه أنعم به على أخيه، وذلك مستقبح فيما بين الناس، وقد قيل قديماً: المنة تهدم الصنيعة.

وقد ذم الله تعالى المن في مواضع عديدة من القرآن، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} (البقرة: 264).

"يا من آمنتم بالله واليوم الآخر لا تُذْهِبُوا ثواب ما تتصدقون به بالمنِّ والأذى، فهذا شبيه بالذي يخرج ماله ليراه الناس، فيُثنوا عليه، وهو لا يؤمن بالله ولا يوقن باليوم الآخر، فمثل ذلك مثل حجر أملس عليه تراب هطل عليه مطر غزير فأزاح عنه التراب، فتركه أملس لا شيء عليه، فكذلك هؤلاء المراؤون تضمحلُّ أعمالهم عند الله، ولا يجدون شيئًا من الثواب على ما أنفقوه. والله لا يوفق الكافرين لإصابة الحق في نفقاتهم وغيرها" (التفسير الميسر، ص277).

ثبت عن أبي مليكة الذماري رحمه الله أنه كان يقول -في هذه الآية: {كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون} (المطففين: 15)-: "المنان والمختال، والذي يقطع بيمينه أموال الناس" (جامع البيان للطبري 492/10، ومساوئ الأخلاق للخرائطي 320).

فالمن –والعياذ بالله- ينقص الأجر وقد يذهب به بالكلية، وهو آفة من آفات النفس، ومظهر من مظاهر سوء الخلق، ويوغر الصدور، ويحبط الأعمال، ويستجلب غضب الله سبحانه، ويستحق صاحبها الطرد من رحمته، وهي من صفات المنافقين. ويحرم صاحبها من نعمة نظر الله إليه يوم القيامة.

الثالث: المنفق سلعته بالحلف الكاذب

يجوز في الحلف كسر اللام وإسكانها.

وهذه لها ثلاث صور:

الأولى: أن يحلف أنه اشتراها بكذا وهو كاذب.

الثانية: أن يحلف أنه لم يشترها بهذا السعر وإنما اشترى به.

الثالث: أن يحلف أنه أُعطي فيها كذا وهو كاذب.

والحلف الصادق في البيع يمحق البركة كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، فكيف بالكاذب؟!

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

الثلاثية التاسعة والخمسون

ثلاثة قبلنا يُتأسَّى بهم

عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ، فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ[1]، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ وَاللَّهِ يَا هَؤُلَاءِ لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصِّدْقُ، فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ. (وفي طريقٍ: عفا الأثر، ووقع الحجر، ولا يعلم بمكانكم إلا الله، ادعوا الله بأوثق أعمالكم).

فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرَقٍ مِنْ أَرُزٍّ[2]، فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ، وَأَنِّي عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ، فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا، وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ فَسُقْهَا. فَقَالَ لِي: إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرَقٌ مِنْ أَرُزٍّ؟ فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْفَرَقِ. فَسَاقَهَا، فلم يترك شيئاً. فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ (وفي طريق: رجاء رحمتك ومخافة عذابك) فَفَرِّجْ عَنَّا. فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ[3].

فَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ آتِيهِمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَبَنِ غَنَمٍ لِي، فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً، فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا، وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغَوْنَ مِنَ الْجُوعِ[4]، فَكُنْتُ لَا أَسْقِيهِمْ حَتَّى يَشْرَبَ أَبَوَايَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَهُمَا فَيَسْتَكِنَّا لِشَرْبَتِهِمَا[5]، فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ. فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا. فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ.

فَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَنِّي أردتها عَنْ نَفْسِهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّي، حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ، حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ: لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ. فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا. فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا» رواه البخاري ومسلم.

هؤلاء الثلاثة أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم بحالهم حتى نتأسى بهم، ونقتديَ بفعالهم، ونسلك سبيلهم، ونترسم خطاهم..

الأول: رجل توسل إلى الله بأمانته.

نمَّا لأجيره ماله، ولما جاء يطلبه لم يحل بينه وبينه.

وقد قال الله تعالى: {إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها} (النساء: 58).

وتوعد النبي صلى الله عليه وسلم من ضيع الأمانة بقوله: «القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلّها إلا الأمانة، يؤتى بالعبد يوم القيامة –وإن قتل في سبيل الله– فيقال: أد أمانتك. فيقول: أي رب كيف وقد ذهبت الدنيا؟ فيقال: انطلقوا به إلى الهاوية. فيُنطلَق به إلى الهاوية، وتُمثل له أمانته كهيئتها يوم دُفعت إليه، فيراها فيعرفُها، فيهوي في أثرها حتى يدركَها، فيحملُها على مَنكبيه، حتى إذا ظن أنه خارج زلَّت عن منكبيه، فهو يهوي في أثرها أبد الآبدين». ثم قال: «الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والوزن أمانة، والكيل أمانة، وأشد ذلك الودائع» رواه أحمد، والبيهقي موقوفا، وذكر عبد الله ابن الإمام أحمد في كتاب الزهد أنه سأل أباه عنه فقال: إسناده جيد.

---

[1] / أي : انطبق عليهم باب الغار بصخرة عظيمة لا يقدرون على إزاحتها.

[2] / الفَرَق: مكيال يسع ثلاثة آصع، والصاع: أربعة أمداد كمدِّ النبي صلى الله عليه وسلم.

[3] / أي : اتسعت، ولكن لمقدار لا يفي لخروجهم.

[4] / وَالضُّغَاء –بِالْمَدِّ–: الصِّيَاح بِبُكَاء .

[5] / من الاستكانة: الضعف. أي: خشي أن يضعُفا بسبب عدم شربهما؛ لأن عشاءهما يقويهما.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

الثاني:توسل إلى الله ببره لوالديه.

وأعجب ما في قصة هذا أنّه فعل هذا بدون أن يعلم أن فيه أجراً معيناً، بدون أن يعلم أن من فعله وحلَّ به ضيق فتوسل به استجاب الله دعاءه، ونحن نعلم هذا، ولا يقوى أحد عليه إلا من رحم الله. شأنه شأنَ أبي بكر τ الذي جمع بين أربع خصال في يوم وهو لا يدري أن التلبس بها في يوم واحد يدخل الجنة. ونحن نعلم ذلك، ولعل قليلاً منا من حصل له هذا.

فدلت القصة على فضل برّ الوالدين، فقد كان بالإمكان أن يسقي هذا الرجل أهله وولده ويرجئ أمر والديه إلى أن يستيقظا ولا يقدح ذلك في برّه، وأعظم إشارة لنا في قصة هذا البار: أنه إذا كان هذا الرجل لم يقدم أهله على والديه فيما لا حرج فيه، فكيف تسول لنا أنفسنا أن نقدم أولادَنا وزوجاتِنا على أمهاتنا فيما فيه الحرج والإثم ؟! ولقد قرن الله حقه بحق الوالدين في آيات عديدة، منها قوله: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} (الإسراء: 23). فالواجب على الإنسان أن يعطي كلَّ ذي حق حقه.

قال ابن حجر رحمه الله (فتح الباري: 510/6): "وفي القصة: فَضْل بِرّ الْوَالِدَيْنِ وَخِدْمَتهمَا وَإِيثَارهمَا عَلَى الْوَلَد وَالْأَهْل وَتَحَمُّل الْمَشَقَّة لِأَجْلِهِمَا. وَقَدْ اُسْتُشْكِلَ تَرْكه أَوْلَادَه الصِّغَار يَبْكُونَ مِنْ الْجُوع طُول لَيْلَتهمَا مَعَ قُدْرَته عَلَى تَسْكِين جُوعهمْ. فَقِيلَ: كَانَ فِي شَرْعهمْ تَقْدِيمُ نَفَقَة الْأَصْل عَلَى غَيْرهمْ. وَقِيلَ: يَحْتَمِل أَنَّ بُكَاءَهُمْ لَيْسَ عَنْ الْجُوع، وَقَدْ تَقَدَّمَ مَا يَرُدّهُ. وَقِيلَ: لَعَلَّهُمْ كَانُوا يَطْلُبُونَ زِيَادَةً عَلَى سَدّ الرَّمَق، وَهَذَا أَوْلَى".

الثالث: توسل بعفته. وأعجب به من رجل.

فهذا الرجل يراود هذه الفتاة لسنوات وهي تتأبى عليه، فلما سنحت الفرصة، وتمكن منها، وهي التي جاءت إليه تطلب مالاً، وتهيأ لنيل مراده، هنا تطرق النصيحة أذنه، والدافع لردها قوي، فإن للشهوة سلطاناً على أصحابها تقودهم كما تُقاد العجماوات من البهائم، ولكن الله أحيا وازع الإيمان والخوف بهذه الكلمة: اتق الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه. فقام ونزع عنها، ولم يأخذ المال الذي أعطاه لها. فما أجمل العفةَ، وما أحسنَ عاقبتها!!

وهذا الحديث دليل على فوائد:

ففي الحديث: التوسل بالعمل الصالح، ولا ريب أنّ هذا مشروع، والأدلة عليه كثيرة. والتوسل: التقرب، والمراد أن يجعل الإنسان بين يدي دعائه ما يكون سبباً لقبوله، والتوسل المشروع يكون بأسماء الله وصفاته، كأن تقول: يا رزاق ارزقني. ويكون بالعمل الصالح كما في هذه القصة. ويكون بذكر الحال وإظهار الفقر، كما قال موسى عليه السلام: {رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} (القصص:24). ومن أنواعه التوسل بدعاء العبد الصالح، فليس من حرج أن تطلب إلى شخص توسَّمْت فيه صلاحاً أن يدعوَ لك، وإنما الحرج أن تدعوَ هذا الصالح، فهنا الحرج والشرك.

وأما التوسل بما لم يثبت في الشرع أنه وسيلة فليس بمشروع، كالتوسل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم، أو بحق فلان؛ ولا ريب أن جاه النبي صلى الله عليه وسلم عند الله عظيم، ولكن من ينتفع به؟ الذي ينتفع به صاحبه صلى الله عليه وسلم.

وفيه بركة الدعاء، وأنه إذا ألَّمت بالمرء ضائقة فعليه أن يرفع أمره إلى الله، وأن يلجأ إليه.

وإن من العجائب أنّ المشركين قال الله عنهم: {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ} (العنكبوت: 66)، وكثير من الناس عند الضيق يلجأ إلى فلان وفلان. وهذا من أقبح ما يكون.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وفي القصة إثبات الكرامات للصالحين، وفضل الإخلاص. واستجابة الله للمضطرين. وفيها: جواز الحلف من غير استحلاف. وأن الغيب لله. واتخاذ الأسباب. والترغيب في فعال الخير بذكر حال السابقين. واستصلاح الودائع. وأن الله يعبد خوفاً وطمعاً. وفيها: فضل الرفقة الصالحة. وفيها: عظيم بركة الصدق مع الله. وفيها: أن الفقر من أسباب شيوع الفاحشة واستفحال أمرها. وأن التصدق سبب لسيادة العفة. وبركة التذكير بالله والتخويف منه. وأنه لا يأس ممن يقول: لا إله إلا الله. وأن من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه. وأنه لا يقوى على كشف الكربات إلا الله.

وأختم بإشكال وسؤال..

أما الإشكال: فقد قال هؤلاء الثلاثة : اللهم إن كنت تعلم! قال ابن حجر رحمه الله: "فِيهِ إِشْكَال؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِن يَعْلَم قَطْعًا أَنَّ اللَّه يَعْلَم ذَلِكَ؟ وَأُجِيبَ بِأَنَّهُ تَرَدَّدَ فِي عَمَله ذَلِكَ هَلْ لَهُ اِعْتِبَار عِنْد اللَّه أَمْ لَا، وَكَأَنَّهُ قَالَ: إِنْ كَانَ عَمَلِي ذَلِكَ مَقْبُولًا فَأَجِبْ دُعَائِي"[1].

وبهذا يزول الإشكال، وإذا زال الإشكال ثبتت فائدة أخرى: وهي أن الصالحين يعملون الخير ويسيئون الظن بأنفسهم، ويخشون ألا يتقبل الله منهم.

وأما السؤال –وهو متوجه إلينا جميعاً–: إذا كنا مكان هؤلاء فهل سنجد في أعمالنا خبيئةَ صدق نتوسل بها إلى ربنا؟

[1] / فتح الباري (507/6).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

الثلاثية الستون

ليس لابن آدم من ماله إلا ثلاث

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ τ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَقُولُ الْعَبْدُ: مَالِي مَالِي، إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ: مَا أَكَلَ فَأَفْنَى، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى، أَوْ أَعْطَى فَاقْتَنَى، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ» رواه مسلم.

قوله صلى الله عليه وسلم: «يقول العبد: مالي مالي» أتى بصيغة المضارع إيماء إلى أن هذا القول ديدنُه ودأبُه بحسب طبعه، أي: مالي هو الذي أعتني به وأهتم، فالتكرار لفظاً للتعظيم والاهتمام.

فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا المال الذي نهتم به إنما هو ثلاث، ثلاث جهات للصرف تبذل فيها الأموال:

الجهة الأول: الطعام والشراب. وهذا من المباحات بشرط عدم الإسراف، وعدم شراء ما يحرم أكله.

الجهة الثانية: اللباس. ويقال فيها ما قيل في الجهة الأولى: أنه لا بأس ببذل المال لتحصيل ذلك بدون إسراف. فأبليت أي: أخلقت الثوب.

فما أنفقه الإنسان على نفسه في طعامه وشرابه ونحوِ ذلك فلا يكون له ولا عليه، إلا إذا كانت له فيه نيةٌ صالحة.

الجهة الثالثة: ما أعطى فاقتنى.

ومعناها: ادخر لآخرته ثوابه وفي بعض نسخ صحيح مسلم: «فأقنى»، بحذف التاء، أي: أرضى.

فالمال الذي يُنفق هو المال الذي سيبقى لأصحابه في الآخرة.

قال الله تعالى: {مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ} (النحل:96).

وقال تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (البقرة:245). وقال: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ} (الحديد:11).

وليس بالله حاجةٌ إلى أحد من عباده، وإنما المراد أن الله يوفي العبدَ يوم القيامة أجر صدقته.

قال ابن مسعود τ: "لما نزلت: { مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} قال أبو الدحداح الأنصاري: يا رسول الله وإن الله عز وجل ليريد منا القرض؟ قال: «نعم يا أبا الدحداح». قال: أرني يدك يا رسول الله، فناوله يده. قال: فإني قد أقرضت ربي عز وجل حائطي. وحائطه له فيه سِتمائة نخلة، وكانت أم الدحداح وعيالها فيه، فجاء أبو الدحداح فناداها: يا أم الدحداح! قالت: لبيك. قال: اخرجي فقد أقرضته ربي عز وجل. فقالت له: ربح البيع". رواه الطبري وأبو يعلى والطبراني.

وعن عائشة رضي الله عنها: أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً، فَقَالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَا بَقِيَ مِنْهَا»؟ قالت: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلاَّ كَتِفُها. قَالَ: «بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرُ كَتِفِهَا» رواه الترمذي.

وعن أبي هريرة τ، قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَصَدَّقَ بعَدلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ –وَلاَ يَقْبَلُ اللهُ إِلاَّ الطَّيِّبَ– فَإِنَّ اللهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ » رواه البخاري ومسلم.

ثم بين النبي صلى الله عليه وسلم أن ما عدا ذلك من الأموال فإنك ستبقيه إلى الورثة. فعن ابن مسعود τ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ»؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ. قَالَ: «فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ» رواه البخاري.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

قال بعض الملوك لأبي حازم الزاهد: لماذا نكره الموت؟ فقال له: "جعلت مالك بين عينيك؛ فأنت تكره فراقه، ولو قدمته لآخرتك لأحببت اللحوقَ به".

وكان ابن عمر رضي الله عنهما لا يعجبه شيء من ماله إلا قدمه لله.

ودخل رجل على أبي ذر فلم يجد في بيته شيئا، فقال: أين متاعك؟ فقال: إن لنا بيتا نوجه إلينا متاعنا. فقال له الرجل: لابد لك من متاع ما دمت هنا. قال: إن صاحب البيت لا يدعنا فيه.

وقال الحسن: "بئس الرفيقان الدرهم والدينار، لا ينفعانك حتى يفارقانك".

وقيل لحكيم: جمع فلان مالا. فقال: وهل جمع له عمرا يفرقه فيه قالوا: لا. قال: ما فعل شيئاً.

جمعت مالا ففكر هل جمعت له يا جامع المال اياماً تفرقه

المال عندك مخزون لوارثه ما المال مالك غلا حين تنفقه

وقال بعض السلف: ابن آدم، إنما تسكن يوم القيامة فيما بنيت، وتنزل يومئذ على ما نقلت في حياتك من متاعك.

وليس معنى ذلك أن يهلك الإنسان ماله بحجة أن يريد أن يعمر آخرته، فإن الله تعالى يقول: {وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا} (الإسراء: 29). أي: ولا تمسك يدك عن الإنفاق في سبيل الخير، مضيِّقًا على نفسك وأهلك والمحتاجين، ولا تسرف في الإنفاق، فتعطي فوق طاقتك، فتقعد ملومًا يلومك الناس ويذمونك، نادمًا على تبذيرك وضياع مالك. فإن النبي صلى الله عليه وسلم ثبت عنه أنه عاد سعد بن أبي وقاص τ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ مِنْ وَجَعٍ قارب فيه على الْمَوْتِ، فقال سعد: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلَغَنِي مَا تَرَى مِنْ الْوَجَعِ، وَأَنَا ذُو مَالٍ، وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ لِي وَاحِدَةٌ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ: «لا». قَالَ: أَفَأَتَصَدَّقُ بِشَطْرِهِ؟ «لا، الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ؛ إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ» رواه البخاري ومسلم. فسعد له ابنة واحدة ومع ذلك قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «الثلث كثير». ولهذا كان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: "وددت أن الناس غضوا من الثلث إلى الربع في الوصية؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الثلث كثير» رواه الشيخان.

والإسلام لا يحارب جمع المال، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ» رواه أحمد. وقال صلى الله عليه وسلم: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا» رواه البخاري ومسلم. وثبت عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ أنه قال: جَاءَ عُثْمَانُ إِلَى النَّبِيِّ بِأَلْفِ دِينَارٍ حِينَ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ، فوضعها فِي حِجْرِ النبي صلى الله عليه وسلم، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يُقَلِّبُهَا فِي حِجْرِهِ وَيَقُولُ: «مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ» –مَرَّتَيْنِ– رواه الترمذي. الذي يحاربه الإسلام أن يملكك مالك لا أن تملكه، أن يكون المال في قلبك لا في يدك.

هذا الحديث أرشد إلى أن ما ننفقه يدخر الله لنا أجره. ومع ذلك فإن الله وعد بالخلف في الدنيا، قال تعالى: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ} (سبأ: 39). وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ τ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا» رواه البخاري ومسلم. وثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ τ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ» رواه البخاري ومسلم. ومما يدل لذلك هذه القصة التي حدثنا بها نبينا صلى الله عليه وسلم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ τ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ε قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِفَلاَةٍ مِنَ الأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتاً فِي سَحَابَةٍ: اسقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَت ذَلِكَ الماءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الماءَ، فَإِذَا رَجُلٌ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

قَائمٌ في حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الماءَ بِمسحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، ما اسمُكَ؟ قال: فُلانٌ -للاسم الذي سَمِعَ في السَّحابةِ-، فقال له: يا عبدَ الله ، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوتاً في السَّحابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يقولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ، لاسمِكَ. فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ فَقَالَ: أَمَا إذ قلتَ هَذَا فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أنَا وَعِيَالِي ثُلُثاً، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ» رواه مسلم.

فالصدقة التجارة الرابحة مع الله، قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ* لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ } (فاطر: 29-30). وقال: {مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (البقرة: 261).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

الفهرس

م	الموضوع	الصفحة
46	اليُمْنُ في ثلاث	2
47	يتبع الميت ثلاث	4
48	ثلاثة حق على الله عونهم	8
49	ثلاثٌ منقِّيات مُطَهِّرات	10
50	ثلاثٌ يُمْسَكُ عنهُنَّ	12
51	ثلاثٌ تكلموا في المهد	14
52	ثلاثٌ لا لعب فيها	18
53	ثلاث عقوبات في هذه الأمة	19
54	ثلاث نسوة برئ منهن رسول الله صلى الله عليه وسلم	22
55	ثلاثة هي الكفر	25
56	ثلاث دعوات لسعدٍ τ	28
57	ثلاث لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم (1)	31
58	ثلاث لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم (2)	34
59	ثلاثة قبلنا يُتأسَّى بهم	37
60	ليس لابن آدم من ماله إلا ثلاث	40

This file was downloaded from QuranicThought.com